صراط التوهج

من زمن التوهج

رئيس مجلس الادارة رئيس التحرير

فخري كريم

العدد (1665) السنة السابعة

الخميس (26) تشرين الثاني 2009

محمد رضا الشبيبي

الشيخ محمد رضا الشبيبي والمؤسسات الثقافية . .

3

تاريخ العراق المعاصر في حياة الشبيبي

8

عراقيون
من زمن التوهج
العدد (1665)
السنة السابعة
الخميس (26)
تشرين الثاني2009

الشيخ محمد رضا الشبيبي

ا. مير بصري

شاعر من نوابغ الشعراء المتأخرين وزعيم وطني عرف منزلته ابناء الشعب وقدروه حق قدره رصين شديد التؤدة والاناة، ابتلي بالسياسة فكان مصلحا اجتماعيا مثالي النزعة اكثر منه سياسيا ورجل دولة.
ينتمي الى الاسرة الشبيبية المعروفة في النجف، واول من استوطن هذه الحاضرة من رجالها الشيخ محمد بن شبيب بن الشيخ راضي بن ابراهيم بن صقر بن دليهم من قبيلة بني اسد من فخذ يسمى (المواجد)، ومسكنهم الجزائر في جنوبي العراق، وقد نزح محمد بن شبيب الى النجف طلبا للعلم فاتخذها موطنا وصاهر بعض اسرها فولد له الشيخ جواد الشاعر الاديب..

ومحمد رضا بن محمد جواد بن محمد الشبيبي ولد في النجف (٦ آيار ١٨٨٩) ودرس على علماء عصره كالشيخ محمد حسن المظفر والسيد مهدي آل بحر العلوم الطباطبائي والسيد حسين الحمامي والسيد هبة الدين الشهرستاني والسيد حسين القزويني والشيخ هادي آل كاشف الغطاء وابيه الشيخ محمد جواد الشبيبي وغيرهم، وتفقه في علوم الدين واللغة، ونظم الشعر فلم يلبث ان اصبح علما من اعلامه آخذا بأسباب التجديد، مستقصيا للمعاني العصرية ومطالب النهضة والحرية مع محافظته على الديباجة العباسية الناصعة والجزالة العربية الاصيلة، وقد نشر شعره، وهو بعد شاب، في امهات المجلات العربية في مصر وسورية ولبنان، فكان له القبول الحسن والشهرة الطيبة والصيت البعيد.

رسم الشبيبي صورة لشبابه وشباب اقرانه في ذلك العهد في مقدمة ديوانه المطبوع في القاهرة سنة ١٩٤٠ فابدع الرسم واتقن التصوير، قال:

كنا في رهط من الشباب العراقيين وغيرهم نفكر تارة في رسم اهدافنا وطورا في الوسائل التي توصلنا اليها، ولم نكن نستهدف في الواقع الا الحياة في ظل نظام تحترم فيه الحقوق والحريات وتفلح في كنفه المساعي ويتيسر النهوض بالبلاد، كما كان في مقدمة العقبات الشاقة التي تواجهها دائما استفحال الجمود وفقدان الشعور بالواجب خصوصا لدى المسؤولين وعدم اكتراثهم او مبالاتهم بالاخطار، فتضطرم النفوس وتثور الارواح المتمردة وتتضاعف الهواجس والآلام، ثم تفيض بهذه الصور الشعرية كما يفيض القليب الملآن.

ولقد عمل مع نفر من شباب النجف الناهض في جمع المخطوطات والدواوين والسعي لطبعها، وزار المنتفق في ايام الحرب العظمى، وحارب في موقعة الشعيبة الى جانب الجيش التركي، ثم وضعت الحرب اوزارها وتحفز العراقيون لطلب الاستقلال، فكان لمحمد رضا الشبيبي مواقف وطنية مأثورة في بلده، وانتدب بمهمة الى الملك حسين عاهل الحجاز، فبارح العراق سالكا مفاوز البادية من البصرة الى جبل شمر فالمدينة المنورة ومنها الى مكة المكرمة التي بلغها في ايلول ١٩١٩ واجتمع بالملك حسين، وقدم له وثائق مذيلة بتواقيع الزعماء والعلماء وقادة الرأي تتضمن توكيله لبيان حالة العراق وشرح رغبات اهله، واوضح له طموح العراقيين الى الحرية والاستقلال.

عمل مع نفر من شباب النجف الناهض في جمع المخطوطات والدواوين والسعي لطبعها، وزار المنتفق في ايام الحرب العظمى، وحارب في موقعة الشعيبة الى جانب الجيش التركي، ثم وضعت الحرب اوزارها وتحفز العراقيون لطلب الاستقلال، فكان لمحمد رضا الشبيبي مواقف وطنية مأثورة في بلده، وانتدب بمهمة الى الملك حسين عاهل الحجاز.

وذهب الشبيبي بعد ذلك الى الشام ولبنان فكان له فيهما جهود سياسية ومساجلات ادبية، ومن شعره الذي سجل زيارته لصيدا في تلك الاونة واجتماعه بمحافلها قصيدته الرائعة:

عروس من البلدان ليس لها مهر
ومصر سبتني لا الصعيد ولا مصر
وماهي لما قلدتني نعتها
وشاطئها الا القلادة والنحر
وغير كثير من بدائع بلدة
كصيداء ان اغرى بها: انها سحر

وعاد الى بغداد في تشرين الثاني ١٩٢٠ بطريق بادية الشام وسجل رحلته في كتابه (رحلة في بادية السماوة) وقد نشر في الاصل من مجلة المجمع العلمي العراقي.

اقام في النجف مدة ثم انتقل الى بغداد واتخذها مسكنا له، وانتخب عضوا في المجمع العلمي العربي بدمشق سنة ١٩٢٣، وعين وزيرا للمعارف في وزارة ياسين الهاشمي الاولى (٤ آب ١٩٢٤) واستقال منها في ٥ آذار ١٩٢٥، وانتخب نائبا عن بغداد في مجلس النواب ١٩٢٥ وجدد انتخابه (١٩٢٨- ١٩٣٠) وكان بعد ذلك من اقطاب المعارضة، وانتخب نائبا عن بغداد للمرة الثالثة آذار ١٩٣٣، والرابعة كانون الاول ١٩٣٤، وعين عضوا في مجلس الاعيان فاستمر فيه الى تشرين الاول ١٩٤١ وتولى وزارة المعارف في الوزارة الهاشمية الثانية (١٧ آذار ١٩٣٥) لكنه استقال في ١٦ ايلول ١٩٣٥، وانتخب رئيسا لمجلس الاعيان في ٢٧ شباط ١٩٣٧ الى ١٧ آب ١٩٣٧، واصبح وزيرا للمعارف للمرة الثالثة في الوزارة المدفعية الرابعة من ١٧ آذار ١٩٣٧ الى ٢٤ كانون الاول ١٩٣٨، ثم في الوزارة المدفعية الخامسة من ٢ حزيران ١٩٤١ الى ١٨ تشرين الاول ١٩٤١.

عراقيون
من زمن التوهج
العدد (1665)
السنة السابعة
الخميس (26)
تشرين الثاني2009

وانتخب نائبا عن لواء العمارة في ت ١ ١٩٤٣، واختير رئيسا لمجلس النواب في ٣ كانون الثاني ١٩٤٤ حتى استقال من الرئاسة (١٤ كانون الاول ١٩٤٤) وانتخب نائبا عن لواء بغداد (اذار ١٩٤٧)، واصبح رئيسا للمجمع العلمي العراقي (١٢ ك ٢ ١٩٤٨- شباط ١٩٤٩) وانتخب عضوا بمجمع اللغة العربية في القاهرة (ك٢ ١٩٤٨) في الكرسي الشاغر بوفاة الاب انستاس ماري الكرملي، فحضر المؤتمر السنوي للمجمع لاول مرة في ٧ كانون الاول ١٩٤٨ ورحب به الرئيس احمد لطفي السيد واستقبله عباس محمود العقاد بخطاب ترحيب واطراء.

وقد منحته جامعة القاهرة مرتبة الدكتوراه الفخرية في اللغة العربية والدراسات الاسلامية (ك١ ١٩٥٠) وانتخب رئيسا للمجمع العلمي العراقي عند اعادة تأليفه في ٩ آب ١٩٦٣ وتوفي في بغداد في ٢٦ تشرين الثاني ١٩٦٥، فحمل جثمانه الى النجف ودفن الى جانب آبائه.

مؤلفاته:

ديوان الشبيبي (١٩٤٠) مؤرخ العراق ابن الفوطي ـــ(الجزء الاول طبع ١٩٥٠ وصدر ١٩٥٤، الثاني ١٩٥٩) اصول الفاظ اللهجة العراقية (١٩٥٦) فن التربية في الاسلام (محاضرة ١٩٥٨) لهجات الجنوب (١٩٦١) ابن خلكان وفن الترجمة (١٩٦٢) القاضي ابن خلكان، منهجه في الضبط والاتقان (١٩٦٣) ادب المغاربة والاندلسيين (١٩٦١) رحلة في بادية السماوة (١٩٦٤) رحلة الى المغرب الاقصى (١٩٦٥) تراثنا الفلسفي، حاجته الى النقد والتمحيص (١٩٥٣)، وله، عدا ذلك، شعر لم ينشر في ديوانه وبحوث ومقالات في مواضيع مختلفة نشرت في الصحف والمجلات ولاسيما مجلة المجمع العلمي العراقي ومجموعات مجمع اللغة العربية بمصر، وذكر له رفائيل بطي في الجزء الاول من الادب العصري في العراق العربي، كتبا مخطوطة، منها، تاريخ الفلسفة، ادب النظر (في فن المناظرة) فلاسفة اليهود في الاسلام، المسألة العراقية، تاريخ النجف، المأنوس من لغة القاموس.

الشبيبي الرجل الشاعر:

وصفه رفائيل بطي في كتابه (الادب العصري) فقال: (شاب انيس، منخفض الصوت، تبدو عليه سيماء العلماء الذين اكمد لونهم الدرس الطويل، آية الاناة في تفكيره وكلامه وكتابته، غير مكثر من النظم والنثر، لاينظم باقتراح البتة، وهو الذي قال لي يوم طلبت اليه ان يعارض قصيدة (ياليل الصب) لا اعرف امرا يقال له الطلب الى الشاعر ان ينظم (كيت وكيت)، والشعر شعور تجيش به النفس ويصدر من القلب، هذا عن الرجل اما شعره فكما قلت فيه: عقل راجح، نظر ثاقب، وخيال جميل، صناعة عراقية عليها مسحة عباسية)....

اقول: وقد لازمته سنينا طويلة وحضرت مجالسه وانست بزياراته واحاديثه، ونعمت بصداقته ومودته، ودعوت الى تكريمه في جريدة (الزمان) (١٣- ١- ١٩٦٢) فوصفته قائلا:

اضفى الزمن على الشاب الانيس وقار المشيب وجلال الشيخوخة دون ان يفقده جمال نفسه وصفاء سريرته، وقد زادته الايام حنكة وحكمة، دون ان تزيده ثروة ومالا، وهو اليوم، كما كان دائما، يؤثر البساطة، في مأكله وملبسه ومعيشته، لطيف المعشر، خفيض الصوت، بار بأصحابه واصفيائه، متواضع للصغير والكبير، تجلس اليه وتصغي الى احاديثه العذبة فتسمع في صوته نبرة من الالم الحبيس، فتذكر الشاعر الوجداني الذي قال:

شغل السمير جوارحي، وشغلتم
روحي فكنتم دونه سمارها
انى تهش الى حديث محدث
روح تكاشف مثلكم اسرارها؟.

والشاعر العاطفي الذي قال:

تفاهمتا، عيني وعينك، لحظة
وادركتا ان القلوب شواهد
مشت نظرة بيني وبينك وانبرى
من القلب مدلو لا على القلب رائد
كأن الذي حاولت ثم حاولت
من الحب معنى بيننا متوارد
احاديث لم تلفظ، وللنفس منطق
وجيز، والفاظ اللسان زوائد

وصفه رفائيل بطي في كتابه (الادب العصري) فقال: (شاب انيس، منخفض الصوت، تبدو عليه سيماء العلماء الذين اكمد لونهم الدرس الطويل، آية الاناة في تفكيره وكلامه وكتابته، غير مكثر من النظم والنثر، لاينظم باقتراح البتة، وهو الذي قال لي يوم طلبت اليه ان يعارض قصيدة (ياليل الصب) لا اعرف امرا يقال له الطلب الى الشاعر ان ينظم (كيت وكيت)، والشعر شعور تجيش به النفس ويصدر من القلب.

والشاعر الاجتماعي الذي قال:

فتنة الناس، وقينا الفتنا
باطل الحمد ومكذوب الثنا
رب جهم حولاه قمرا
وقبيح صيراه حسنا
كلنا يطلب ماليس له،
كلنا يطلب ذا حتى انا!

والشاعر العربي الذي قال:

ببغداد اشتاق الشآم، وها انا
في الكرخ من بغداد جم التشوق
فما انا في ارض الشام بمسئم
ولا انا في ارض العراق بمعرق
هما وطن فرد وقد فرقوهما
رمى الله بالتشتيت شمل المفرق

والشاعر المتألم الذي قال:

لم يبقَ لي الاّ الشباب، وانه
ديباجة ضمن الاسى اخلاقها
اشتاق اطرح الهموم ويقتضي
ظمئي الى الآلام ان اشتاقها

والشاعر الوطني الذي قال:

الا في سبيل الله والوطن العاني
سهادي اذا جن الظلام واشجاني
وفي ذمة الشعب المضيع حملة
من الدهر القاها وحيدا وتلقاني
تعسف قوم بالعراق وساوموا
على وطن ما سيم يوما بأثمان

والشاعر المصلح الذي قال:

الا اصلحوا من شأنها، فهي امة
الى الآن تنفك غامضة الشان
وان حياة الجهل ان لم يكن لها
على الموت سبق فهي والموت

سيان..

والشاعر الحكيم الذي قال:

انا في البحر قطرة، او يخفى
عنك ما شأن قطرة في العباب؟
حجبت طلعة الحقيقة عني،
ليتها تستشف خلف الحجاب

ان الشاعر الرقيق الحالم الذي عرفته مغاني الادب وخلوات الرؤى والاطياف قد تحول شيئا فشيئا رجلا اجتماعيا له منزلته في ندوات الفكر وحلبات السياسة والجهاد الوطني، وتم هذا التحول رويدا رويدا وعاما بعد عام، حتى لم يكد يشعر به صاحبه ولا اخصاؤه وخلصاؤه، واستيقظ الشاعر ذات يوم فاذا به قد نضاعن نفسه غلالة العزلة والانكماش، واصبح من الوجوه التي تتطلع اليها الانظار ويلوذ بها اولو المصالح والحاجات ويلتف حولها اهل الثقافة وابناء الشعب على السواء، لم يكن الشبيبي من اصحاب الزعامة ولا طلاب الرئاسة والجاه، بيد انه وقد تقدمت به السن ورسخت مكانته في مجتمعه وقومه، اصبح من اولئك الذين ترنو اليهم الابصار كلما ناب الخطب او دهم المصاب، وغدا مجلسه ندوة يلتقي فيها ارباب الفكر ورجال الادب وشباب الامة، وموئلا يفزع اليه ذوو الشفاعات والظلامات، اولئك يتباحثون في الشؤون العامة وقضايا الساعة والاوان، وهؤلاء يعرضون معضلات امورهم فلا يعدمون مشورة طيبة او مسعى جميلا لدى اولي الحل والعقد، وكذلك كان الشبيبي الى يومه الاخير، وكذلك كان مجلسه حتى ودع الحياة الفانية، وقد تكالبت عليه المصائب واشتدت الامور، وهو ينوء بأثقال الشيخوخة، ومرضت زوجه واستفحل داؤها وعز شفاؤها ومضت الى الرفيق الاعلى، فكتم غمه وجلس للناس صابرا متجلدا، لا ينبس بشكوى ولا يردد زفرة، ثم عاد من زيارة لبلاد الاردن مساءا، وسمر مع اهله واخوانه ليلا، فلم يطلع الفجر حتى فاجأه الحمام، مسدلا الستار على حياة حافلة راضية مرضية، فكان كما قال في مرثية له:

عجلت، يادهر، بالصمصام تثلمه
ماكان ضرك لو امهلته حينا!
اضحى المجاهد يدعو: أين قائدنا؟.
وطالب العلم يدعو: أين هادينا؟.
بعدا ليومك، لا كانت صبيحته
ولا دجت بعده الاّ لياليا

او كما قال:

الآن لما غيبوك تيقنوا
أن الحياة جميعها أحلام
أين الذي بثباته ثبت الورى
وتزلزلت من بعده الاقدام؟..

كتاب اعلام العراق
تأليف: مير بصري

رفائيل بطي

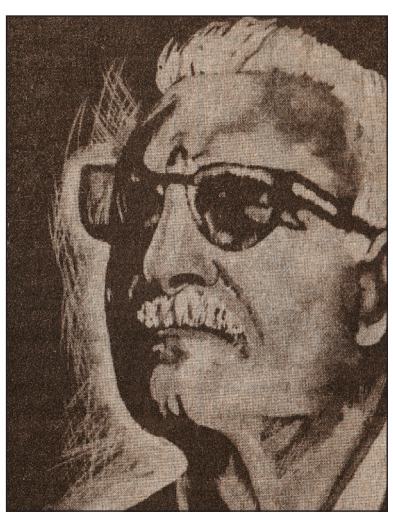
العقاد

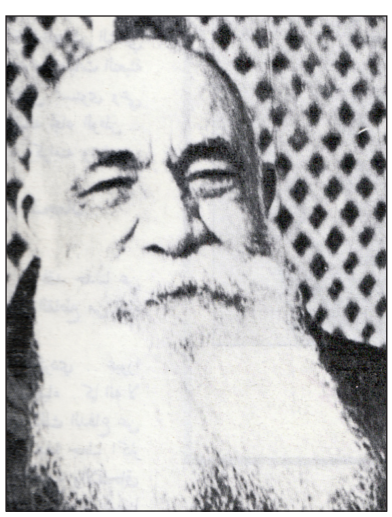
انستاس الكرملي

عراقيون
من زمن التوهج
العدد (1665)
السنة السابعة
الخميس (26)
تشرين الثاني2009

برغم انشغال المرحوم الشيخ الشبيبي بالعمل السياسي الذي اعطاه من جهده ووقته الكثير فان ذلك لم يصرفه عن المساهمة في الكثير من الشؤون الثقافية ومؤسساتها، فقد كان رجلا جم النشاط، متعدد الاهتمامات، له في كل مجال نصيب، حتى ليستغرب من رجل واحد ان يشارك في كل تلك المجالات ثم يكون له في كل منها مكان مرموق، وكأنه قد تفرغ له فقد كان شاعرا له منزلته بين شعراء العراق المعدودين، وقد كان معنيا باللغة العربية وتراثها، عمل في سبيل الحفاظ عليهما، ونشر كنوزهما ما عمل.

الشيخ محمد رضا الشبيبي والمؤسسات الثقافية . .

قصي سالم علوان

ولسنا هنا نريد ان نتحدث عن نتاجه الشعري او اللغوي او التراثي فلذلك مجال آخر، وانما نريد ان نتحدث عن مشاركاته في الهيئات والمؤسسات الادبية والعلمية، تلك المشاركات التي تدل على فاعلية في تلك المجالات، من جهة، وعلى مكانته فيها، من جهة ثانية.. فعند اقامته في الشام سنة ١٩٢٠، بعد عودته من رحلته الى الحجاز التي انتدبه لها العراقيون، كان ان دعا الملك فيصل طائفة من شعراء الشام وادبائها، ونزلاء هذا البلد من الشعراء والادباء، مثل الشيخ فؤاد الخطيب وخير الدين الزركلي ويوسف حيدر وشفيق جبري لانشاء جمعية ادبية فكان الشيخ الشبيبي من ضمن هذه الطائفة المختارة.

وعندما عاد الى العراق، وانشأت طائفة من ادباء النجف الاشرف ومثقفيه سنة ١٩٣٢، (منتدى النشر) تبنى الشبيبي فكرته منذ ولادته وسايره في مختلف ادواره حتى استطاع ان يقوم بدور كبير في نشر الثقافة العلمية والادبية.

كما قام بتشجيع (الرابطة العلمية الادبية) التي أنشئت قبله بثلاث سنوات، وفي النجف ايضا، وكانت لها مساهمتها الفعالة في بعث الحركة العلمية الادبية في هذه المدينة، فأهدى اليها مجموعة قيمة من الكتب، كانت اول هدية ثقافية تهدى اليها، ثم اجاب طلبها طبع ديوانه كما يقول المرحوم الشاعر محمود الحبوبي، احد مؤسسي الرابطة برحابة صدر ورغبة شديدة تشجيعا لمؤسستنا ومساهمة في نشر الثقافة والادب.

ووقت ان بدأت في العراق اول محاولة لتأسيس (مجمع علمي) وهي محاولة ثابت عبدالنور في (المعهد العلمي) في بغداد سنة ١٩٢١ كانت الهيئة المؤسسة تتألف من خمسة عشر عضوا، كان الشبيبي في طليعتهم..

وعند سنة ١٩٣٤ تقدم الشبيبي الى الجهات المسؤولة مع جملة من الشعراء وحملة الاقلام منهم اخوه الشيخ محمد باقر الشبيبي والشيخ علي الشرقي ورفائيل بطي وابراهيم حلمي العمر وعباس العزاوي والدكتور فاضل الجمالي فأسسوا (نادي القلم العراقي) واختير جميل صدقي الزهاوي رئيسا له ثم رأسه الشبيبي بعد وفاة الزهاوي مايقارب عشرين سنة..

وفي سنة ١٩٤٧ الفت وزارة المعارف هيئة قوامها اربعة من رجال العلم والفكر لتختار من ترى فيه الاهلية لعضوية (المجمع العلمي العراقي) كان الشبيبي ضمن تلك الهيئة وبعد ان تم اختيار العدد المطلوب من الاعضاء وقع الاختيار على الشبيبي ليكون رئيسا لاول مجمع علمي عراقي..

ولكن بعد ظهور تفسير للفقرة الثالثة من المادة الثلاثين من (القانون الاساسي العراقي) وهو يحول دون الجمع بين الوزارة والعضوية في المجلس التشريعي وبين عمل آخر من اعمال الدولة تخلى الشبيبي عن عضوية المجمع لكونه آنذاك عضوا في مجلس النواب..

وبعد حل هيئة المجمع ووضع قانون جديد له سنة ١٩٦٣ اختيرت لجنة قوامها عشرة اعضاء اختارت خمسة آخرين كان الشبيبي في طليعتهم،، وما لبث ان انتخب مجددا رئيسا للمجمع، ولكنه رغب الى زملائه باعفائه من منصب الرئاسة اكثر من مرة، فأصروا على رأيهم ولم يسعه الاّ النزول على تلك الرغبة.

وقد انشأ المجمع العلمي العراقي، والشبيبي في رئاسته، خزانة الكتب، واصدر (مجلة المجمع العلمي العراقي) المعروفة، وانشأ شعبة فنية مجهزة بالالات والاجهزة كما قدم المجمع العون الى العديد من المؤلفين الذين تقدموا بمؤلفاتهم لنشرها، ولم يدخر جهدا في تصوير المخطوطات وتيسيرها للباحثين، ووضع الجوائز للنابهين من الطلبة الجامعيين، واشترى الكثير من الكتب الصادرة في العراق تشجيعا للحركة الثقافية، كما قوى صلاته بالمؤسسات الثقافية في العراق والوطن العربي وخارجهما.

وقد كان المرحوم الشبيبي على رأس عدة لجان في المجمع ظهر فيها نشاطه وفعاليته وقد اختتم اعماله في المجمع بأن وجه المجمع دعوة الى (مجمع اللغة العربية) في القاهرة، الذي هو احد اعضائه العاملين، لان يعقد دورته الثانية والثلاثين في بغداد لزيادة الروابط بين الاشقاء العرب.

قلت اختتم اعماله في المجمع لان الشيخ الشبيبي لم يستمر في عضوية المجمع ورئاسته، اذ لم يلبث ان استقال منه في ١٥ تشرين الثاني سنة ١٩٦٥، ولم يشارك في المهرجان الثقافي الكبير الذي شهدته بغداد في مؤتمر مجمع اللغة العربية الذي دعا اليه المجمع وقت ان كان الشبيبي في رئاسته،، ولم يجد رد استقالته ولاجهود اللجنة التي شكلت من اعضاء المجمع لاقناعه بالعدول عن الاستقالة، وقد حدثني من اثق به ان استقالته كانت لتدخل الحكومة آنذاك، في شؤون، هي في رأي الشبيبي، من اختصاص المجمع.

واذا كان دور الشبيبي في المجمع العلمي العراقي ما ذكرنا، فان له من المساهمة في مجمع اللغة العربية في القاهرة، الذي انتخب عضوا فيه منذ سنة ١٩٤٨ ما يشهد بها له زملاؤه في المجمع المذكور.

يقول الاستاذ زكي المهندس، نائب رئيس المجمع، في كلمة تأبينه: وقضى الفقيد في مجمعنا عشرين سنة او تزيد كان فيها مثال الحيوية والجد والاخلاص في خدمة اللغة والتاريخ، فما من دورة من دورات المؤتمر الا اتى الفقيد الينا وهو يحمل ثروة علمية ضخمة اعدها من دراساته العميقة وتجاربه الواسعة واسفاره الكثيرة في ارجاء الوطن العربي، وما من مسألة تاريخية عربية الا وكان للفقيد فيها جولة تنم عن غزارة علم وسعة اطلاع واحاطة تامة في التاريخ العربي والاسلامي.

وقال عنه المرحوم الاستاذ احمد حسن الزيات، في كلمة تأبينية ايضا: ان مجمع اللغة العربية ليشهد ان فقيده الكريم لم يتخلف عن شهود مؤتمر من مؤتمراته منذ انتخب فيه سنة ١٩٤٨ الاّ مرة واحدة، ولم يحضر دورة من دوراته الاّ مزودا بطائفة من البحوث القيمة والملاحظات الصائبة والاقتراحات السديدة، كان يلقيها علينا في تواضع فيه عزة، وتؤدة فيها ثورة، وثقة فيها يقين، جاءه من سعة علمه وصحة تثبته، ذلك الى سمو في خلقه، ونبل في هواه، وبروز في ذاته، جعلته طوال عضويته في المجمع عميدا لاعضائه الشرقيين بحكم الواقع، يتكلم عنهم يوم افتتاح المؤتمر ويوم ختامه،، الامر الذي من اجله كرّمه اشقاؤنا في مصر بأن منحته جامعة فؤاد الاول (جامعة القاهرة الان) درجة الدكتوراه الفخرية في اللغة العربية والدراسات الاسلامية، منذ سنة ١٩٥٠..

ولم يقتصر اسهامه في المؤسسات الثقافية على ماذكرنا، فقد شارك في ابحاث في المجمع العلمي العربي بدمشق، الذي كان عضوا مراسلا فيه منذ سنة ١٩٢٣، كما القى مجموعة قيمة من الدراسات سنة ١٩٥٤ في المهرجان الالفي لابن سينا، في طهران، بدعوة من وزارة التربية الوطنية الايرانية اخرجها في كتاب بعنوان (تراثنا الفلسفي- حاجته الى النقد والتمحيص) كما القى سلسلة من المحاضرات سنة ١٩٦٠ في ادب المغاربة والاندلسيين في اصوله المصرية ونصوصه العربية.. بدعوة من معهد الدراسات العربية العالية (معهد البحوث والدراسات العربية الان) التابع لجامعة الدول العربية، الذي هو عضو في مجلسها الاعلى لمعهد المخطوطات، كما ساهم بقدر ما سمح له وقته ومشاغله في المواسم الثقافية والمهرجانات العلمية التي دعي اليها في غير بلد عربي واحد، بالاضافة الى ماكان يلقيه من محاضرات في العديد من المواسم والمعاهد العلمية والادبية في العراق..

افتتاح المكتبة الوطنية

عراقيون
من زمن التوهج
العدد (1665)
السنة السابعة
الخميس (26)
تشرين الثاني2009

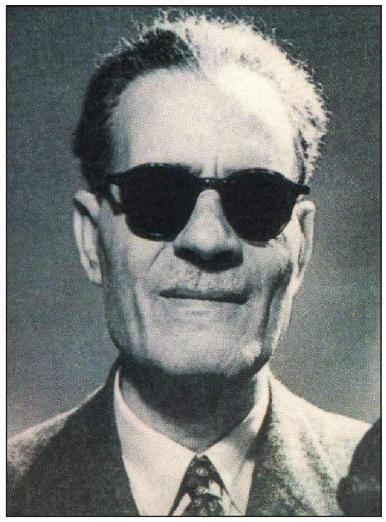

طه حسين

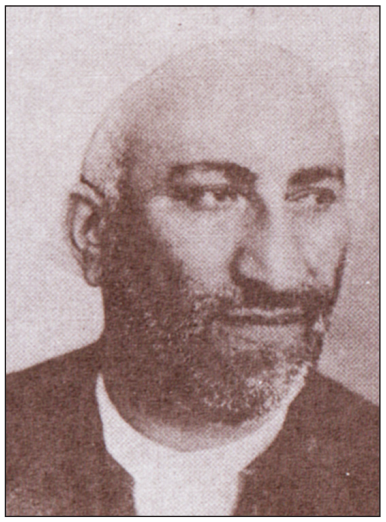

الشبيبي في شبابه

لا انسى قصيدة (الشبيبي): (انتم متعتم بالسؤدد) التي وقفت عليها اول مرة قبل اكثر من ثلاثين سنة على مقاعد الدراسة الابتدائية، وقد كانت تَطربني وتهزني وتفعل بي فعل السحر، وهي التي الهمتني، وانا طريّ العود، حب الوحدة الوطنية وعشق الوحدة العربية، ولم يكن صاحب هذه القصيدة، بالغريب عليّ، فقد كنت اراه في بيتنا في مجلس المرحوم والدي، فأرى الرزانة مجتمعة في تقاطيع وجهه الاملس المشرب بالحمرة، ذي الانف الاقنى والعينين السوداوين الواسعتين الحالمتين والفم الواسع ذي الشفة السفلى البارزة واللحية الخفيفة التي اشتبك ببياضها الكثيف بسوادها الخفيف، اما عمامته البيضاء فقد كانت تزيد جبهته العريضة البارزة هيبة..

حارث طه الراوي

مع الشيخ محمد رضا الشبيبي

ودارت الايام وانطوت سنون، واذا بالشبيبي، يزور مكتبة المجمع العلمي العراقي سنة ١٩٥٧ وكنت، يومئذ، امينا لها، واذكر ان بداية الحديث كانت عن (امين الريحاني) وكتابه (قلب العراق) وكان البرت الريحاني – شقيق امين- قد كلف الشيخ الشبيبي بكتابة مقدمة طبعته الثانية، المنقحة، فحدثني الشبيبي عن مزايا صديقه الريحاني وابدى اعجابه بإسلوبه دون لغته، وطلب مني ان اعيره كتاب (قلب لبنان) لامين الريحاني من مكتبتي الخاصة، فأعرته إياه بكل سرور..

-ما قولك بينبوع الماء الذي يواصل العابثون رجمه بالحجارة لمدة تزيد على ربع القرن، الا ينقطع عن التدفق؟ الا ينضب؟ هذا هو حالي مع الشعر، فأحداث العراق الجسيمة وظروفه القاسية لم تدع لي مجالا او مزاجا لنظم الشعر..

واستمر الشيخ الشبيبي في زياراته للمجمع العلمي بعد انتقال المجمع من شارع الزهاوي الى الوزيرية. وسألته ذات مرة:

-لماذا هجرت القريض؟.

ثم اردف مستشهدا ببيت من لاميته الشهيرة:

من الحق جس الشعر الا لغاية
تفرّق فيها بين حقٍ وباطلِ

وخلال رئاسة الشبيبي للمجمع العلمي العراقي (١٩٦٣- ١٩٦٥) كان يطيب له ان يملي عليّ بعض مقالاته من دفتر مسوداته الخاص، واذكر انه املى عليّ بتأريخ ١٨ كانون الثاني ١٩٦٥ مقاله القومي الرائع وشائج القربى بين مصر والعراق، الذي اثبت فيه الخصائص المشتركة بين البلدين العربيين الشقيقين من النواحي الجغرافية ومن ناحية تشابه ابناء مصر والعراق بالملامح والسحنات ومقاطع الاعضاء، وحتى الامزجة!.

واملى عليّ، على اثر وفاة صديقه المرحوم الاستاذ لطفي السيد رئيس مجمع اللغة العربية بالقاهرة، ذكرياته عنه، التي دوّنها في دفتر مذكراته على شكل يوميات، وبينما كنت منهمكا بتدوين مايمليه عليّ الشيخ، رنّ جرس الهاتف واذا بالمتكلم الاستاذ حسنين – استاذ الصحافة في كلية الاداب بجامعة بغداد، يومئذ، وكان مراسلا لمجلة (ابناء الوطن) المصرية، ورجا الشيخ الشبيبي ان يأذن له بزيارته في المجمع بعد دقائق، ليطرح عليه بعض الاسئلة الثقافية التي ستنشر اجوبتها المجلة المذكورة.

وجاء حسنين فهممت بمغادرة الغرفة كما يقتضي الحال، فمسكني الشيخ الشبيبي من يدي واصرّ على بقائي، فامتثلت لرغبته..

وكان احرج سؤال وجهه حسنين الى الشبيبي هو:

-ما رأيكم بكتاب (الشعر الجاهلي) لطه حسين؟.

ووجه الاحراج ما اثاره هذا الكتاب من ضجة كبرى عند صدوره سنة ١٩٢٦ لتعرضه الى بعض الامور المتعلقة بالقرآن الكريم بشكل يثير بعض الحساسيات الدينية مما اغضب بعض رجال الدين في مصر وقت صدوره فتعرّض مؤلفه لمتاعب كثيرة..

كان صديقه (طه حسين) يومئذ رئيسا لمجمع اللغة العربية، فاذا قال الشيخ الحقيقة بحق كتاب صديقه اغضب طه، واذا لم يقلها اغضب الحقيقة، لقد تركه حسنين بين هذين الخيارين الصعبين، فاحتدمت اعصابه وشبك كفيه محاولا ان يعصر انفعاله بهما، وكدت ان اكون فضوليا اذ حدثتني نفسي ان ارجو من الاستاذ حسنين ان يسحب سؤاله لما فيه من احراج وازعاج للشيخ، ولم يدر بخلدي ان شيخنا سيتخلص من هذا الاحراج بجواب مفحم لايخطر على بال احد. فقد أجاب بكل بسأطة وهُدوء..

-لم اقرأ هذا الكتاب..

فاندهش حسنين، وفغر فاه، وكاد ان ينهض من كرسيه لفرط عجبه وقال:

-وكيف لم يقرأ استاذنا الشبيبي هذا الكتاب؟

-ليس من المفروض فيّ ان اقرأ جميع مؤلفات طه حسين..

اما المؤلفات التي قرأتها لطه فتدل على غزارة علمه وجمال اسلوبه الاخّاذ..

كتاب ذكرياتي
حارث طه
الراوي

اين مذكرات الشبيبي؟

رفعة عبدالرزاق محمد

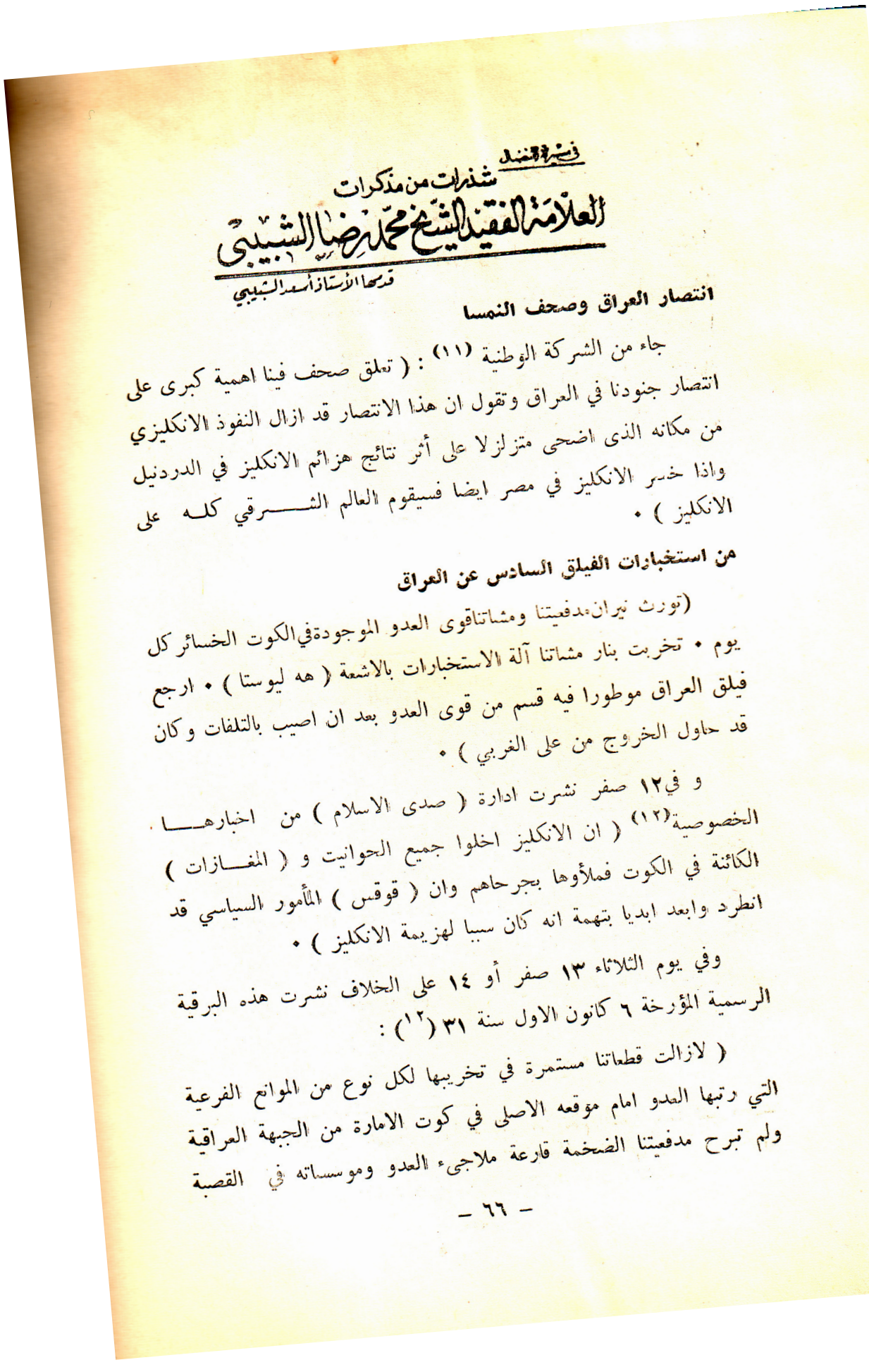

نشرة النقد

شذرات من مذكرات

العلامة الفقيد الشيخ محمد رضا الشبيبي

قدمها الأستاذ أسعد الشبيبي

انتصار العراق وصحف النمسا

جاء من الشركة الوطنية (١١) : (تعلق صحف فينا اهمية كبرى على انتصار جنودنا في العراق وتقول ان هذا الانتصار قد ازال النفوذ الانكليزي من مكانه الذى اضحى متزلزلا على أثر نتائج هزائم الانكليز في الدردنيل واذا خسر الانكليز في مصر ايضا فسيقوم العالم الشـــرقي كلـه على الانكليز) .

من استخبارات الفيلق السادس عن العراق

(تورث نيران مدفعيتنا ومشاتنا قوى العدو الموجودة في الكوت الخسائر كل يوم . تخربت بنار مشاتنا آلة الاستخبارات بالاشعة (هه ليوستا) . ارجع فيلق العراق موطورا فيه قسم من قوى العدو بعد ان اصيب بالتلفات وكان قد حاول الخروج من على الغربي) .

و في ١٢ صفر نشرت ادارة (صدى الاسلام) من اخبارهـــا الخصوصية(١٢) (ان الانكليز اخلوا جميع الحوانيت و (المغـــازات) الكائنة في الكوت فملأوها بجرحاهم وان (قوقس) المأمور السياسي قد انطرد وابعد ابديا بتهمة انه كان سببا لهزيمة الانكليز) .

وفي يوم الثلاثاء ١٣ صفر أو ١٤ على الخلاف نشرت هذه البرقية الرسمية المؤرخة ٦ كانون الاول سنة ٣١ (١٢) :

(لازالت قطعاتنا مستمرة في تخريبها لكل نوع من الموانع الفرعية التي رتبها العدو امام موقعه الاصلي في كوت الامارة من الجبهة العراقية ولم تبرح مدفعيتنا الضخمة قارعة ملاجىء العدو وموسساته في القصبة

العدد (1665)
السنة السابعة
الخميس (26)
تشرين الثاني2009

عراقيون
من زمن التوهج
العدد (1665)
السنة السابعة
الخميس (26)
تشرين الثاني2009

ما ان اعلن عن وفاة العلامة الشيخ محمد رضا الشبيبي في ٢٦ تشرين الثاني ١٩٦٥، حتى اخذت بعض الصحف والمجلات نشر خبر عن قرب صدور مذكراته التي نهد الى كتابتها منذ ايام تلقيه الاولى، غير ان تلك المذكرات المنوه عنها لم تصدر الى يومنا هذا، ومن المعروف ان الشبيبي كتب في اوقات مختلفة من حياته الزاخرة بالنشاط السياسي والعلمي والادبي، الكثير من مذكراته، وقيل الكثير عن هذه المذكرات، وقد ذكر الاستاذ عبدالحسين البغدادي احد موظفي المجمع العلمي العراقي القدامى ان الفقيد الشبيبي كتب مذكراته وكان يضعها في درج مكتبه في المجمع وقد تبين فيما بعد ان ذلك لم يكن سوى صفحات قليلة و مبتسرة من مذكراته الكبيرة.

وبعد وفاته بأيام، نشرت جريدة (البلد) البغدادية لصاحبها المرحوم عبدالقادر البراك صفحة كاملة من تلك المذكرات، غير أنها لم تشر الى طبيعة هذه النشرة، فهل كان ذلك هو ما عناه الاستاذ عبدالحسين البغدادي في مقاله عن عمله في المجمع العلمي العراقي؟ كما ان مجلة (الثقافة الجديدة) نشرت في اعدادها الاولى شبه تقرير عن (ثورة النجف عام ١٩١٨) كتبه الشبيبي بعد انتهاء الثورة كما يبدو، وقد ضمنه العديد من مشاهداته – مسموعاته في ذلك.

غير ان اهم ما نشر في هذا الموضوع، وما يستدل به على ضخامة مذكرات الشيخ الشبيبي ما نشره الشهيد اسعد الشبيبي، وهو نجل الشيخ في مجلة (البلاغ) البغدادية لصاحبها الشيخ محمد حسين آل ياسين، من صفحات مستلة من تلك المذكرات بعنوان شذرات من مذكرات الشيخ محمد رضا الشبيبي، والحقها بتعليقات واضافات واسعة وهي تتعلق بحركة الجهاد ضد الاحتلال البريطاني للعراق وحوادث الحرب العالمية الاولى، ويستشف من تعليقات اسعد الشبيبي ان الشيخ واصل كتابة مذكراته ويومياته الى اوقات متأخرة، ففيها حديثه عن زيارته للكويت عام ١٩٥٩ والقائه بعض المحاضرات العلمية فيها، بل انه تحدث عن ذكرياته في الطائرة التي اقلته من بغداد الى عمان قبيل رحيله بأيام.

ويذكر اسعد الشبيبي ان اباه كان لايتوانى عن تسجيل ذكرياته على اية ورقة يجدها امامه او اغلفة الرسائل او الاضابير التي امامه، وكثيرا ما كانت تلك المذكرات مختلطة بهمومه الخاصة والعامة، فهل تسعفنا الايام برؤية مذكرات الشبيبي كاملة في طبعة لائقة بها وبكاتبها الكبير؟.

×مهمة وطنية خطيرة..

كثيرة هي الجوانب التي تواجه القارئ لسيرة الشيخ محمد رضا الشبيبي او الباحث فيها فما اكثر المشاهد السياسية والعلمية والادبية التي تتنازع الباحث لبيانها او استجلاء معالمها فمنذ وقت مبكر من حياته دخل المعترك السياسي من اوسع ابوابه فضلا عن شهرته الادبية ومكانته العلمية المبكرتين، ومن ذلك مهمة سياسية خطيرة انتدبته اليها الحركة الوطنية المتأججة قبل اندلاع ثورة العراق الكبرى عام ١٩٢٠.

لقد بحثت احداث ثورة العشرين الميدانية واشبعت بحثا غير ان ممهدات تلك الثورة والدعوة اليها، لم تزل تحن الى البحث في العديد من مفاصلها ومن ذلك مانريد بيانه سريعا في هذا المقال، فقد اتفقت الاراء على السيد علوان الياسري كان اول من نادى بالثورة في منطقة الفرات الاوسط وقد نشأت الحركة الوطنية فيها- كما في باقي مدن العراق ومنها بغداد عقب اجراء الاستفتاء الذي اجرته سلطات الاحتلال لمعرفة رأي العراقيين في الدولة المنوي تأسيسها في العراق، وقد اجري هذا الاستفتاء في اواخر عام ١٩١٨ واوائل العام التالي في مختلف مدن العراق باستثناء كردستان.

وقد ايّد السيد علوان الياسري عدد من الشخصيات العلمية والاجتماعية مثل السيد محمد رضا الصافي والسيد كاطع العوادي والشيخ شعلان الجبر والسيد نور الياسري فضلا عن الشيخ عبدالواحد الحاج سكر، وفي تموز ١٩١٩ اجتمع في سرداب آل شلاش في النجف ثلاثة من هؤلاء، السيد علوان، السيد نور، الشيخ عبدالواحد، وقرروا ارسال مضابط الى شريف مكة الملك الحسين ، الذي تزعم الثورة العربية ضد الاتراك العثمانيين، وان تذكر هذه المضابط انهم اختاروا احد انجاله لعرش العراق، ولكن السلطات البريطانية تعارض ذلك، وهم يطلبون مساعدته لاجل ذلك.

تداول الحاضرون عن الشخص الذي يمكن الوثوق به لايصال مضابطهم الى الشريف حسين، وقيل ان صاحب الدار الذي شهد ذلك الاجتماع السري، وهو عبدالمحسن شلاش اقترح ان يكون الشيخ محمد رضا الشبيبي، وقد وافق الثلاثة الاخرون على هذا الاختيار الجيد وتبرع كل منهم بأربعين ليرة لنفقات رحلته.

اعدت المضابط وارفقت معها رسالة من المرجع الديني الكبير الميرزا محمد تقي الشيرازي الى ملك الحجاز، وكلف الكتبي عبدالحميد زاهد، وكان صاحب مكتبة في الصحن الحيدري الشريف، باخفاء تلك الوثائق، فاخفاها في جلد مصحف بطريقة فنية، وفي اواخر تموز غادر الشبيبي مدينة النجف، فاتجه اولا الى الشطرة لزيارة بعض اقربائه هناك، وتبرع احد اثرياء الشطرة بنفقات حج احد اقرباء الشبيبي وهو الشيخ ابراهيم الاطيمس لكي يرافقه في رحلته.

استقل الشبيبي ورفيقه قافلة بدوية بدأت مسيرتها من الزبير ووصلت مكة بعد نحو شهر واحد... ويذكر عبدالرزاق الحسني في كتابه عن الثورة ان الشبيبي وصل مكة والتقى شريفها الملك الحسين وقدم له المضابط، وان الشبيب وجد الحسين مندفعا للدفاع عن القضية العربية واستقلال البلاد العربية وقد قرأ المضابط باهتمام بالغ ثم ارسلها الى ابنه الامير فيصل الذي كان آنذاك، في باريس مشاركا في مؤتمر الصلح كما كتب جوابا لرسالة الميرزا الشيرازي ابلغه انه سيبذل جهده لتحقيق رغبة العراقيين في تأسيس دولة يتولى عرشها احد انجاله.

بقي الشبيبي في مكة اربعين يوما ثم غادرها بطريق القطار الى دمشق، وقد استغرقت رحلته هذه خمسة وعشرين يوما، اذ كانت سكة الحديد مخربة في كثير من المواضع من جراء المعارك، وفي دمشق التقى الشبيبي الامير فيصل بن الحسين العائد من باريس، وقد ابلغه الاخير ان المضابط وصلته، وعندما كان الشبيبي في دمشق قرر العراقيون فيها في ٨ آذار ١٩٢٠ اعلان استقلال العراق ومبايعته الامير عبدالله بن الحسين ملكا على العراق، وجل العراقيين من العسكريين الذين تركوا الجيش العثماني والتحقوا بالثورة العربية وجاؤوا الى دمشق للمساهمة في تأسيس الحركة العربية فيها، وقد حضر الشيخ الشبيبي اجتماعات هؤلاء وعد ممثلا لاهالي الفرات الاوسط وعشائره.

ويذكر الشيخ وداي العطية في كتابه عن تاريخ الديوانية ان رسائل للشبيبي وصلت شيوخ العشائر اوصلها سعاة من البدو تخبرهم بمجريات الحوادث وتدعوهم الى الثورة ومبايعة الامير عبدالله، مكث الشبيبي في دمشق ولم يعد للعراق الا بعد انتهاء ثورة العشرين، فعاد الى العراق عن طريق الصحراء برفقة احد الضباط العراقيين وهو رشيد الخوجة، وعند وصوله بغداد ذهب لمقابلة المس بل التي ذكرت في رسائلها ليوم ٤ كانون الاول ١٩٢٠:

زراني رجل ممتع جدا هو السيد محمد رضا الشبيبي وقد عرفته عام ١٩١٨، ثم انطلق فجأة غاضبا لا ادري لماذا، الى الحجاز وسوريا، كتب هناك مقالات عنيفة ضد بريطانيا في الصحف المحلية استنكر طريقتنا في حكم هذه البلاد، لقد خابت آماله كثيرا لما وجده من هدوء السوريين تحت الاحتلال الفرنسي، وان ادانته للسوريين بعد شهادة حقيقية للنجاح الذي نالته فرنسا في سوريا، وهو اكبر مما كنت اتوقعه.

ان الشبيبي عاد ليقول انه متأكد من ان ما نعمله هنا صحيح، وهو رجل معروف ذو قلم راضع، واذا عمل معنا بنزاهة مجازفا بسمعته لدى المشهورين فانه يكون ذا قيمة. (الرسائل ج٢ ص ١٨٩، بالانكليزية)..

وصل الشبيبي بغداد يوم ٢١ تشرين الثاني ١٩٢٠ بعد ان قطع بادية الشام التي تعرف بالسماوة الى ضفاف الفرات في ٢٦ مرحلة كما حدثنا في كتابه رحلة في بادية السماوة مع رفيق رحلته رشيد الخوجة..

×ترحيب وتوجس.

رحبت جريدة (الاستقلال) البغدادية لصاحبها عبدالغفور البدري بقدوم الشيخ محمد رضا الشبيبي في عددها المرقم (١٨) في ٥ كانون الاول ١٩٢٠، بقولها:

ان العراق في نهضته الوطنية مديون الى الشبيبة النجفية الحرة، وبالاخص آل الشبيبي الذين اوقفوا ارواحهم في خدمة البلاد غير مبالين بالمصائب التي اعترتهم واذا كان آل الشبيبي هم في مقدمة الاسر النجفية الساعية للحصول على الاستقلال، فان حضرة شاعر العراق الاكبر محمد رضا الشبيبي هو في مقدمة اسرة الشبيبي الكريمة وان جريدة الاستقلال ترحب بقدوم حضرة الوطني الكريم من البلاد السورية..

ومن الطريف نقله في هذه المقالة ما كتبه عند وصوله بغداد في مذكراته المخطوطة وما اشار اليه الفقيد اسعد الشبيبي.ومن النوادر في تلك الفترة، وكنا ذات يوم نتمشى انا ورشيد الخوجة في ساحة السراي، وذلك في اليوم (الثالث لوصولنا) بغداد، فأقبل علينا المأجور ايدي وهو ضابط في مصلحة استخبارات الجيش المحتل عين حاكما في المنتفك، بعد التعارف والمجاملات قال: اني معني بجمع الامثال الريفية التي تدور على السنة الريفيين في العراق، وتحدث الي بحديث يدل على خبث وغرض، قائلا: ان معاني هذه الامثال تغمض علي احيانا ومن ذلك قولهم: من المومن بالك بالك ومن السيد احفظ عيالك، ولا يخفى مغزى هذا التمثيل بهذا المثل في ذلك الحين، فقلت لرشيد الخوجة: لم يجد هذا الخبيث مثلا يسألني عنه الا هذا المثل (!). وكان كغيره من الضباط البريطانيين في ذلك الحين ساخطا يتميز غيظا على الثورة وما منيت به بريطانيا بسببها من الاضرار والخسارة الباهظة..

×التقى الشبيبي في دمشق بالشاعر معروف الرصافي للمرة الاولى، وقد ذكر شيئا عن ذلك اللقاء في المقال الذي كتبه عن الرصافي في مجلة (الوادي) البغدادية في ١٤ آذار ١٩٥٩..

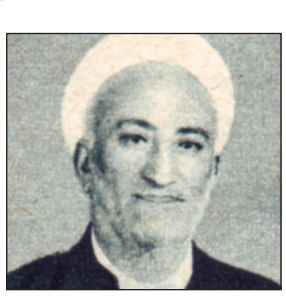

وصل الشبيبي بغداد يوم ٢١ تشرين الثاني ١٩٢٠ بعد ان قطع بادية الشام التي تعرف بالسماوة الى ضفاف الفرات في ٢٦ مرحلة كما حدثنا في كتابه رحلة في بادية السماوة مع رفيق رحلته رشيد الخوجة..

بقي الشبيبي في مكة اربعين يوما ثم غادرها بطريق القطار الى دمشق، وقد استغرقت رحلته هذه خمسة وعشرين يوما، اذ كانت سكة الحديد مخربة في كثير من المواضع من جراء المعارك، وفي دمشق التقى الشبيبي الامير فيصل بن الحسين العائد من باريس، وقد ابلغه الاخير ان المضابط وصلته.

العراقيون
من زمن التوهج
العدد (1665)
السنة السابعة
الخميس (26)
تشرين الثاني2009

تاريخ العراق المعاصر في حياة الشبيبي

احمد حسن الزيات

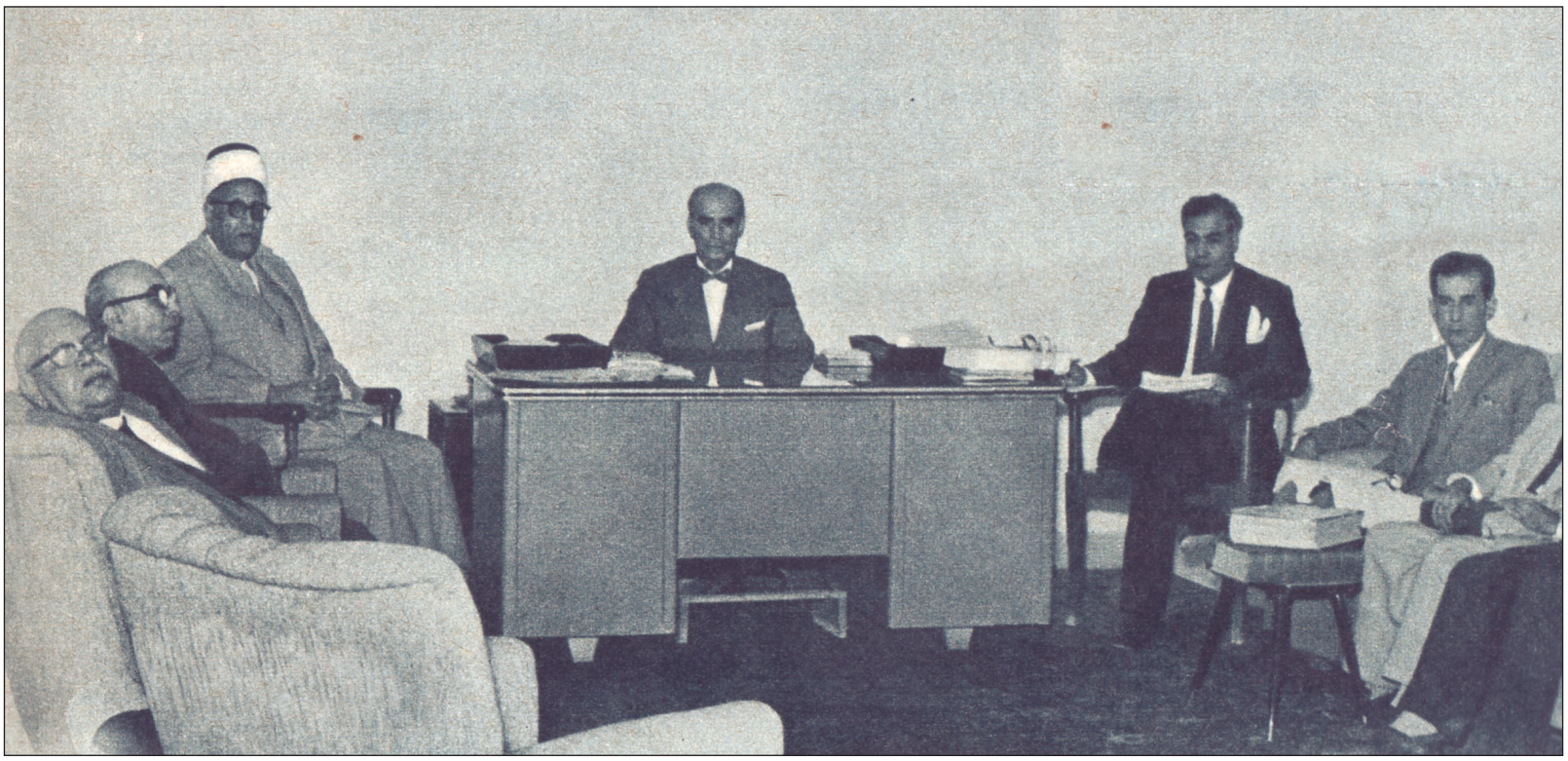

المجمع العلمي العراقي الذي ساهم فيه الشبيبي بتأسيسه

رحم الله اخانا الشبيبي.. كان كرسيه في مؤتمر المجمع متميز الوجود مرموق المكانة ظاهر الجلالة وكان جهده العملي في المؤتمر واضح الاثر، جاني الثمر، خصب الانتاج.. وكان مكانه في العراق مكانة القائد المتبع، تحلقت من حوله النوازع الجديدة في النجف وتجمعت من ورائه المبادئ الحرة في بغداد فقاد حركة الاصلاح الديني في الجامع وجاهد في سبيل الاصلاح السياسي في الحزب وشارك في معركة التحرر من الانكليز في الشعيبة وكان تاريخه كله مثلا في الشجاعة والحفاظ والاستعلاء والانفة.. ومن جرائر هذه الخلال عليه انه لم يتول منصبا او يتقلد وزارة الا استقال بعد قليل اما لباعث يرجع الى وطنيته واما الى سبب يمت الى كرامته.. استقال من وزارة المعارف مرتين، مرة في سنة ١٩٢٥ لاختلافه مع رئيس الوزراء على اتفاقية النفط الاولى، واخرى سنة ١٩٣٥ لاختلافه يومئذ على سياسة التعليم واختيار المعلم، واستقال من رئاسة المجمع العلمي العراقي وعضويته سنة ١٩٤٨ لعوائق من الاذى وضعها في طريقه خصيمه المبين نوري السعيد، واستقال من مجلس النواب سنة ١٩٥٠ مع النواب المعارضين الخمسة والثلاثين لاستطالة بعض الاعضاء الحكوميين على حرم المعارضة.. ثم دعاه التصون والاحتشام الى ضرب من العزلة الشاعرة ابتدأت في حوشن من احواش النجف وانتهت الى قصر من قصور الكرادة، فقليلا ما كان يغشى مجلسا او يشهد مجتمعا او يحضر منتدى، لم يكن كمعاصريه الرصافي والزهاوي حديث مجلس او نديم ملهى او سمير انس او شاعر حفل او صاحب فكاهة.. انما كان طريقة وحده في سمو الخلق وشرف الصحبة ونبل الغرض ولذلك انحصرت شهرته بين طلاب الادب الرفيع من الخاصة واقطاب الرأي المعارض من الساسة.. كان وهو متربع في حجرته المتواضعة في النجف على حشيته الضيقة فوق حصيرته الواسعة واوراقه منشورة امامه وكتبه منثورة حوله يرقب طالع العهد الجديد من بلاط الملك الهاشمي في الرصافة ومن دار المعتمد البريطاني في الكرخ.. فيرى الارادة العربية مكبلة بالقيود الانكليزية لاتتحرك الا بقدر ولا تتصرف الا باذن فيجيش صدره بالشعر المثير ويتحرك لسانه بالنثر الموقظ فتتناقل الافواه هذه الصيحات على شواطئ الفرات من الكوفة والحلة الى الناصرية والبصرة فتفعل فعلها الساحر في نفوس الشيعة الناقمين على الاحتلال والحكم والملك.. وعلماء النجف، ومنهم الفقيد، كانوا في عهد الغزو الانكليزي للعراق كما كان علماء الازهر في عهد الغزو الفرنسي لمصر.. اليهم يرجع الامر وعنهم يصدر التوجيه وعليهم يعتمد العامة.كنت في مطلع العام الثلاثين من هذا القرن في بغداد اؤدي واجبا ادبيا في دار المعلمين العالية وكان الملك يومئذ في ايدي العرب والحكم في ايدي الانكليز والمناصب اعلاها في يد هؤلاء وادناها في يد اولئك، فكانت الحال في ذلك الحين محنة ابتليت بها كفاية الملك، فالانتداب البريطاني كان قبل الملكية يعمل في العلن ويحمل التبعة فأصبح بعدها يعمل في السر ولاتبعة عليه.. والحكومة العراقية كانت بادية البلى ممزقة الجوانب لاتستطيع بخروقها ان تستر العرش فالملك بحكم الوضع كان يستر الانكليز ولكن الوزارة بحكم الضعف كانت تكشفه وكانت اوزار اولئك واخطاء هؤلاء تحمل في رأي المعارضة والشعب على الملك.

والشعب العراقي على اختلاف نوازعه وعقائده واجناسه ناقد، متمرد، طموح، لايصبر على مقت ولايغفل عن خطأ، وكانت الشيعة اشد الناس ضيقا بهذه الحال لانهم كانوا على كثرة عددهم ووفرة ثرائهم قليلي الحظ من المناصب القيادية ومرجع ذلك الى ان الذين مالأوا فيصلا في ثورة العرب على الترك في الحجاز وآزروه على تبوء العرش الاموي في الشام وهاجروا معه، بعد ميسلون، الى حاضرة الملك العباسي في العراق.. كانوا من الضباط العراقيين السنيين الذين ربتهم تركيا في مدارسها واعدتهم للحكم والحرب كجعفر العسكري وياسين الهاشمي ونوري السعيد فثبتوا اركان الدولة وتقلدوا مناصب الحكومة.

والشيعيون في العراق والمارونيون في لبنان كانوا في خلافة بين عثمان كالموالي في خلافة بني امية.. ابعدوا عن مناصب الدولة فاشتغلوا بالعلم، وحيل بينهم وبين موارد الثقافة في عاصمة الخلافة فاعتمدوا في التعليم على انفسهم.. وكان اعتماد الشيعة في التعليم على النجف، والنجف كانت كالازهر لاتخرج الا فقهاء في الدين وعلماء في اللغة، اما سائر الشعب فقد ظل تابعا لهؤلاء يسير على هديهم وينزل على حكمهم ويجري في امور دينه ودنياه على سنتهم،، فلما كانت الملكية الفيصلية لم تجد اكثرهم من يصلح للوظائف العامة فتولاها اخوتهم من اهل السنة.. لذلك كان اول ما اثار عجبي يوم قدومي الى بغداد اني وجدت وزير المعارف اميا يختتم بخاتم ولايوقع بقلم، فلما سألت عن السبب قيل لي ان العرف جرى بأن يكون في الوزارة عضو شيعي وهذا الرجل ثري مسالم فوقع اختيارهم عليه، ولاضير ان يكون وزير المعارف اميا مادام الامر كله بيد المستشار الانكليزي. وقد جربوا في الوزارة من جربوا من ائمة الشيعة فلم يحمدوا التجربة لان هؤلاء العلماء كانوا يستريبون بحاشية القصر ويستوحشون من دار الاعتماد فارادوا ان يغلوا من ايديهم ويكفوا من السنتهم فمنعوهم ورد الفرات والفرات نهر الشيعة تنزل على ضفافه الخصيبة القبائل البدوية، ويفرض المجتهدين بقواه المادية والروحية، وتقسمت الاهواء والاراء سياسة البلاد، فحزب يؤيد الانتداب لانه سند العرش وانتظام الحكومة ومصدر القوة ويتزعمه نوري السعيد، وحزب يناصر الشعب لانه صاحب الارض ومادة الجيش ومصدر الانتاج ويتزعمه ياسين الهاشمي وهوى الشيعة طبعا مع هذا الفريق لبعض الاسباب التي ذكرت، وفقيدنا الشبيبي رضوان الله عليه كان في بؤرتها من الاحداث يتجمع فيه شعاع الوطنية ثم ينتشر عن شعره ونثره هدى للقلوب وضياء في الاعين..

كان هواه مع المعارضة فاذا وزر ياسين ادناه واذا وزر نوري اقصاه فتولى وزارة المعارف خمس مرات لم يلبث في كل مرة الا بمقدار ما يصمد بحزبه من دسائس البلاط ووساوس الانتداب، وقليلا ماكان يصمد.. فما الذي جعل من طالب العلم الديني في النجف الاشرف: عالما ذا كتاب، وكاتبا ذا قلم، ومحاربا ذا سيف، وسياسيا ذا وزارة، ومصلحا ذا رسالة، ومجمعيا ذا رأي؟!.

ان نسبه العريق في العلم وان حياته الطويلة في العمل ليجيبان عن هذا السؤال ابلغ الجواب:

ولد محمد رضا بن محمد بن جواد بن شبيب بمدينة النجف سنة ١٨٨٨ في اسرة معروفة بالعلم موصوفة بالسيادة، فقد كان جده شبيب، الذي ينتسب اليه، من اعلام الفقهاء والمحدثين في عصره وقد ورث بنوه، فيما ورث، الميل الى علوم الدين وما يعين عليها من وسائل، فتهيأ رضا لتلقي الامانة بحفظ القرآن وتعلم الخط على مقرئة صالحة،، ثم طلب علوم اللسان والعقل على طائفة من خيرة العلماء العرب والفرس ذكرهم في ترجمة حياته.. وكان ميله الغالب الى علوم المنطق والفلسفة والادب فقرأ فيها امهات الكتب وجمع منها نوادر المخطوطات.. وكان منهج التعليم في النجف على النمط القديم.. يلازم الطالب استاذا بعينه في علم بعينه حتى يخرجه فيه ويجيزه به.

الا ان مجالس كانت تعقد في اروقة النجف يغشاها كثير من الطلاب ليستمعوا الى محاضرات في الاصول والفقه يلقيها ائمة العصر كمجلس الاصول للملا كاظم الخراساني ومجلس الفقه لفتح الله الملقب بشيخ الشريعة، وكان من بين هؤلاء الطلاب فقيدنا الشيخ الشبيبي، فلما استحار شبابه واكتملت الاته وبرزت شخصيته تحركت في نفسه نوازع القيادة الاصيلة في بيوت العلم في النجف، وعلماء الشيعة في العراق وايران ظلوا في جميع العهود قوامين على الناس لايتحرك متحرك ولايسكن ساكن الا باشارة من مجتهد او مقالة من عالم لان وراثة الائمة الاثني عشر كانت فيهم وجباية الصدقات كانت في ايديهم.. ومن هناك نشأت لهم في المجتمع الشيعي ارستقراطية طبقية وزعامة قومية كان لها في اقاليم الفرات الاثر الفعال في كل ثورة.. والشبيبي كان واحدا من هؤلاء العلماء يرى نفسه بحكم مرضاه (كذا) وطبيعة بيئته زعيما بطبعه، سياسيا بنشأته، فلم يكد فجر اليقظة العربية يلوح في الاقطار العثمانية بعد الحرب العالمية

عراقيون
من زمن التوهج
العدد (1665)
السنة السابعة
الخميس (26)
تشرين الثاني2009

الاولى، ومنها العراق حتى الف من شباب النجف والكوفة وكربلاء والحلة جماعة تدعو الى الاصلاح السياسي والاجتماعي، وجعل يذيع منهج هذا الاصلاح بشعره ونثره في المجلات المغربية والسورية والعراقية، ويقول مؤرخو الادب العراقي الحديث انه من اوائل من طرق الموضوعات الاجتماعية وتناولها في شعره بين شعراء العراق واولهم على الاطلاق بين شعراء النجف، ومنذ يومئذ اخذ ذكره يسير وشعره يروى وامره يظهر حتى احتل الانكليز العراق، واقاموا حكومة من ضباط الجيش تستند الى حاكم بريطاني عام لا الى زعيم عربي مستقل فرأى العراق ان وعد مكماهون مكذوب وان عهد الحلفاء منقوض وان الغدر بالعرب مبيت، فهب يطلب من المحتلين ان يكشفوا الغطاء عن بصره ليرى، وان يرفعوا الكمامة عن فمه لينطق، وان يعقدوا مؤتمرا يمثل الشعب العراقي ليقرر نظام الحكم ويختار رئيس الدولة، فأبى الانكليز عليه ذلك ونفوا من نفوا واعتقلوا من اعتقلوا فثار العراقيون عليهم ثورة الاباة الاعزة بعد ان افتاهم ائمتهم بالجهاد المسلح وغذاهم ادباؤهم بالشعر المثير وذلك قول الشبيبي:

بني يعرب لاتأمنوا للعدى مكرا
خذوا حذركم فالقوم قد اخذوا الحذرا
يريدون فيكم بالوعود مكيدة
ويبغون ان حانت بكم فرصة غدرا
فلا يخدعنكم لينهم وتذكروا
اضاليلهم في الهند والكذب في مصرا
ومن مات دون الحق والحق واضح
اذا لم ينل فخرا فقد ربح العذرا

وكان من رأي الشبيبي في الاجتماع الذي عقده الحاكم الانكليزي في النجف ان تقوم في البلاد دولة عربية سيدة وحكومة دستورية مستقلة، فلم يكد الحاكم العام يدرك ماقال حتى قاطعه بضربة من يده على المنضدة فثارت الحفيظة بالعربي الابي فانتفض انتفاضة الغضب وولى ظهره الحاكم وخرج فخرج معه اكثر قومه، ثم اخذ يؤرث النار على الغزاة بين قبائل الفرات مرة بالدين ومرة بالشعر حتى رأى، هو ورفاقه، ان يصلوا اسبابهم برجال الثورة العربية في الحجاز وسوريا ليوحدوا الوية الجهاد في مختلف البلاد، فجمع الحقائق وحرر الوثائق وسافر مندوبا عن العراقيين في اواخر سنة ١٩١٩ الى مكة عن طريق البادية ليقابل الحسين ثم الى دمشق ليلقى فيصلا، فكانت وثائقه التي حملها وحقائقه التي رواها قوة من الحق والواقع تجهز بها فيصل امام الحلفاء في مؤتمر الصلح، ثم قرر قراره في دمشق سنة كاملة شارك في حوادثها وجرى في مجاريها واجتهد لياسين وصحبه بالمشورة وتحرى للملك وحاشيته وجوه النصيحة، حتى قررت عصبة الامم ان الاقطار التي انفصلت عن تركيا لم تبلغ الرشد فلا بد ان تقوم عليها وصاية من الدول الكبرى، فانتدبت انكلترا لفلسطين والعراق واختيرت فرنسا للبنان وسوريا فخرج العرب بذلك القرار من ظلم معلوم الى ظلام مجهول ومن استبداد الفوضى الى استعداد منظم ومن سلطان دولة ضعيفة الى سيطرة دولة قوية، هنالك عصفت النخوة في نفوس الادباء ورؤوس القادة فقطرت الاقلام سما في هجاء الحلفاء وسالت النفوس دما في واقعة ميسلون، ولكن قدر الله غالب، والمعتمد على غير الله مغلوب، فانتقم الصليبيون من العرب وانتصر القائد غورو على الملك فيصل وتبددت فكرة الجامعة العربية كما يتبدد الحلم الجميل في حقيقة اليقظة.

الشيعيون في العراق والمارونيون في لبنان كانوا في خلافة بين عثمان كالموالي في خلافة بني امية.. ابعدوا عن مناصب الدولة فاشتغلوا بالعلم، وحيل بينهم وبين موارد الثقافة في عاصمة الخلافة فاعتمدوا في التعليم على انفسهم..

رأى الشبيبي ذلك كله بعينه.. رأى العرش العربي وهو يسلب في دمشق والملك الهاشمي وهو يفر الى فلسطين.. فلم يجد من النجاة بنفسه على ظهور الابل الى العراق، وفي النجف رأى ثورة الفرات، وقد تركها شرارا يتطاير هنا وهناك قد اصبحت اوارا يرعى العدو رعي الهشيم فشايع الثوار وشيع النار حتى رأى الانكليز ان الثورة جد وان مقاومتها هزيمة فأذعنوا كعادتهم لسلطان القوة واستجابوا على رغمهم لمطالب الامة ووطأوا عرش الرشيد للملك فيصل فاعتلاه في اوغسطس عام ١٩٢١. وذكر رجال العهد الجديد للكريم الفقيد مواقفه الجلى من قضية الاحتلال وثورة الاستقلال فكان الملك يستزيره ويستشيره ثم اسند اليه منصب الوزارة خمس مرات اولاها في وزارة الهاشمي سنة ١٩٢٤ واخراها في وزارة الصدر سنة ١٩٤٨ ، ثم اختير عضوا في مجلس الاعيان فرئيسا له سنة ١٩٣٧، ثم انتخب عضوا في مجلس النواب فرئيسا له سنة ١٩٤٣، وكان كما قلت لايلبث في كل منصب تولاه الا ريثما يبدأ عمله المستقل ويبدي رأيه المعارض، والاستقلال والمعارضة يأباهما العرش القائم على كواهل الانكليز.

والانكليز كانوا الفاعل المستتر في جميع افعال الدولة وهم لاينسون ان الشبيبي حاربهم مع الترك في الغزوة وقاتلهم مع العرب في الثورة فمن الطبيعي ان يسلطوا عليه جلادهم نوري السعيد فوضع في طريقه العوائق وراح يدس من حوله الدسائس حتى يعيده يائسا الى عزلته في الكرادة يبحث ويؤلف ويحقق ويحاضر ويمد المجامع العلمية في بغداد ودمشق والقاهرة بثمرات فكره وحصيلة اطلاعه.

وان مجمع اللغة العربية ليشهد ان فقيده الكريم لم يتخلف عن شهود مؤتمر من مؤتمراته منذ انتخب عضوا فيه سنة ١٩٤٨ الا مرة واحدة، ولم يحضر دورة من دوراته الا مزودا بطائفة من البحوث القيمة والملاحظات الصائبة والاقتراحات السديدة، كان يلقيها علينا في تواضع فيه عزة وتؤدة فيها ثورة، وثقة فيها يقين، جاءه من سعة علمه وصحة تثبته،، ذلك الى سمو في خلقه ونبل في هواه، وبروز في ذاته جعلته طوال عضويته في المجمع عميدا لاعضائه الشرقيين بحكم الواقع، يتكلم

الانكليز كانوا الفاعل المستتر في جميع افعال الدولة وهم لاينسون ان الشبيبي حاربهم مع الترك في الغزوة وقاتلهم مع العرب في الثورة فمن الطبيعي ان يسلطوا عليه جلادهم نوري السعيد فوضع في طريقه العوائق وراح يدس من حوله الدسائس حتى يعيده يائسا الى عزلته في الكرادة يبحث ويؤلف ويحقق ويحاضر ويمد المجامع العلمية في بغداد ودمشق والقاهرة بثمرات فكره وحصيلة اطلاعه.

عنهم يوم افتتاح المؤتمر ويوم اختتامه، ولجهاده الطويل المثمر في سبيل العرب والعربية كرمته جامعة القاهرة حتى منحته درجة الدكتوراه الفقهية في الادب والتاريخ. واحتفت به اندية الادب ومعاهد العلم في عواصم العروبة تقديرا لجهوده للعلم والسياسة..

ومن شعره، على قلته، من محكم الشعر وجيده، نحا في معانيه منحى المعري في النقد والحكمة ونهج في اسلوبه نهج الحمداني في الجزالة والعذوبة، فمن معرياته قوله:

ياللرزية كم يفرق بيننا
وتضلنا الاضغان والاحقاد
جارت علينا عصبة روحية
شقيت بها الارواح والاجساد
ذلوا بحبهم المعاش وبرهنوا
ان ليس من بعد المعاش معاد
ذهبوا بدعوا في الصلاح عريضة
ان الصلاح من الشيوخ فساد
يتثاقلون ويجبنون عن العلا
ليقال ان شيوخنا زهاد
لايحسدون عن المعالي امة
وهم على علاتهم حساد
ان الزعامة سلمت لزعانف
في الشرق قادوا اهله فانقادوا
انظر الى الاعجاز كيف تصدرت
وعمائم السادات كيف تساد
شر العصور وفي العصور تفاوت
عصر به تتقدم الاوغاد

ومن حمدانياته قوله في مدينة صيدا وقد زارها في رحلته السياسية سنة ١٩٢٠:

رحلت اليها بالصبابة انها
مرام فتى مثلي صباباته كثر
عمدت الى كأس السلو فذقتها
وكأس الجوى طعمان احلاهما المر
لقد اطلقت صيداء طائر ايكة
ببغداد أعياه وارهقه الاسر
غريبا من الاطيار فيها توافرت
خوافيه واشتدت قوادمه العشر
وازعجني من بلدتي مزعج القطا
فهل انت ياصيداء- لابلدي – وكر؟
نعم لم يزل يعتاد قلبي اضطرابه
كما اضطربت ضمن الشباك القطا الكدر
أأنسى زمان الكرخ والكرخ معرس
وتذهب عن ذكري الرصافة والجسر؟
هوى البحر اقصاني ومالي جانب
-ابى الله- عن زوراء دجلة مزور

ومما انفرد به عن ابي العلاء وابي فراس وطنياته التي توثب النفوس على المستعمر وتشيع الوئام بين الاخوة وتدعو العرب الى الوحدة:

كونوا الوحدة لاتفسخها
نزعات الرأي والمعتقد

انا بايعت على ان لا ارى
فرقة هاكم على هذا يدي
ثم اجتماعياته التي تصور العيوب وتظهر النقص باللسان العف الذي يتميز به والبيان الحق الذي ينطبق عليه وذلك كقوله:

فتنة الناس وقينا الفتنا
باطل الحمد ومكذوب الثنا
رب جهم حولاه قمرا
وقبيح صيراه حسنا
ايها المصلح من اخلاقنا
ايها المصلح الداء هنا
كلنا يطلب ما ليس له
كلنا يطلب ذا حتى انا
ربما تعجبنا مخضرة
اربع بالامس كانت دمنا
لم تزل ويحك ياعصر افق
عصر القاب كبار وكنى
حكم الناس على الناس بما
سمعوا عنهم وغضوا الاعينا
فاستحالت – وانا من بعضهم-
اذني عينا وعيني اذنا
اننا نجني على انفسنا
حين نجني ثم ندعو: من جنى؟!
بلغ الناس الاماني حقة
وبلغناها ولكن بالمنى
اخطأ الحق فريق بائس
لم يلوموا ولاموا الزمنا
خسرت صفقتكم من معشر
شروا العار وباعوا الوطنا
ارخصوه ولو اعتضاوا به
هذه الدنيا لقلت ثمنا
ياعبيد المال خير منكم
جهلاء يعبدون الوثنا
انني ذاك العراقي الذي
ذكر الشام وناجى اليمنا
انني اعتد نجدا روضتي
وارى جنة عدني عدنا

وكان للشبيبي، رضوان الله عليه، تجديد في عمود الشعر ولكنه تجديد المحافظ لاتجديد المضيع، جدد في المعاني والاغراض وحافظ في الاوزان والقوافي فهو يقول على نحو ماقال ابو نواس، بالامس من قبل:

الى الان لا يستملح الشعر ان علا
ولايستجاد القول ان لم يلفق
قريض طلول دارسات واربع
وشعر جمال سائرات واينق
مقيدة ابوابه وفنونه
وادهى دواهي الشعر تقييد مطلق
اذا لم يجئك الشعر عفوا تحامه
وان لم يسعك الخلق لاتتخلق

ومن مؤلفاته تاريخ الفلسفة من اقدم عصورها الى اليوم، وادب النظر في المناظر وتذكرة فيما عثر عليه من الكتب والاثار النادرة وفلاسفة اليهود في الاسلام لخص فيه فلسفة ابن كمونة وابن ملكان والمأنوس من لغة القاموس ومؤرخ العراق ابن الفوطى والمسألة العراقية وتاريخ النجف وادب المغاربة والاندلسيين في اصوله المصرية ونصوصه العربية، ثم تراثنا الفلسفي وهو اخر كتاب طبع للفقيد، ومن بحوثه التي القاها في مؤتمر المجمع: النهضة الادبية العربية في العراق، والالفاظ الايوبية في كتاب تقويم النديم، وبين الفصحى ولهجاتها، وفي فقه الاساليب ومصادر الشك في كتاب العين، وسنة التطور في اللغة وفي تاريخ اللهجة المصرية وبلبلة اللهجات واصول اللهجة العراقية وابن خلكان وفن الترجمة، ولهجات الجنوب، وتراثنا القديم من المصطلحات، وثقافتنا اللغوية في عصر المغول، وبين مصر والعراق في ميدان العلاقات الثقافية، وقد سردت هذه العناوين سردا لاقول ان طبيعتها هي التي فرضت عليه هذا الاسلوب العلمي فباينت بين صيغ الفن في شعره ونثره.

اما بعد ايها السادة، فهذا موجز لحياة رجل عظيم اقل مفاخرها موضوع كتاب وجملة مآثرها تاريخ خطبة، والرجولة والعظمة صفتان يجمعهما ما اوتي من مناقب مصدرها خلقه ومواهب مصدرها علمه، كان رجلا بالمعنى الرفيع الذي يفهمه المهذب من لفظ الرجل، وكان عظيما بالمعنى البديع الذي يدركه المثقف من كلمة العظيم.. ولو ذهبت لاحلل حياته الى عواملها الاولية لوجدتها في الخلال: الصدق والصراحة والاباء والشجاعة وهذه هي الرجولة.. وفي الاعمال: العمق والشعور والاتقان والتفرد وهذه هي العظمة، وفقد رجل كهذا الرجل، حياته تاريخ، وعمله رسالة، وخلقه قدوة، وكفايته ثروة، خسارة انسانية لاخسارة قومية، ومصاب امة لامصاب اسرة وفجيعة منفعة لافجيعة عاطفة.كان رحمه الله لاينافق ولايمالق ولا يداهي ولايداجي، ولايقول الا ما يصح في معتقده، ولايعتقد الا ما يصح في رأيه، وهذه الصفات قد تجعل المصلح عظيما ولكنها لاتجعله زعيما، ولا اقصد الزعامة السياسية فان السياسي في امم الشرق كان اذا تجهز لها بالضمير والمنطق والصراحة والصدق هاجمه خصمه بالاباطيل الغاشية فيظهر عليه، ووقف منه جمهوره على الحقيقة العارية فينفر منه، لذلك عجز الشبيبي آخر الأمر عن التوفيق بين هواه والعامة وبين خلقه والسياسة، وبين ضميره والحكم، فارتد الى العلم والادب يؤدي عن طريقهما واجبه ويشغل بمطالبهما وجوده وفي هذين الميدانين جاهد فأبلى، وقاد فانتصر، واصلح فتزعم..

رحم الله ذلك العربي الحر والوطني الصادق، والمجاهد المخلص، والوزير النزيه، والعالم الحجة، والمجمعي الباحث والشاعر المجيد والناقد البصير والاديب المطلع، والهمنا على فقده جميل الصبر وعوضنا من بعده خير العوض..

×القيت في حفل مجمع اللغة العربية في القاهرة الذي اقيم تأبيناً للشبيبي.. مجلة البلاغ تموز ١٩٦٦

العراقيون
من زمن التوهج
العدد (1665)
السنة السابعة
الخميس (26)
تشرين الثاني2009

كيف عرفت الشيخ محمد رضا الشبيبي؟

جعفر الخليلي

ربما كنت ابن عشر سنوات او اكثر قليلا حين سمعت اخي يقول لامي ان لديه ضيفا سيتناول عشاءه عندنا ويغلب على ظني انه قد سمى ضيفه هذا ولكني لا اتذكر انني كنت مسبوقا حينذاك بهذا الاسم وكل ماعرفت هو ان اخي يريد العناية بضيفه لان ضيفه شاعر معروف، والعناية عندنا لم تزد حينذاك على صنفين من الطعام اذا اجهدنا انفسنا، فنحن اذا لم نكن من الفقراء فلم نكن من الاغنياء وكثيرا ما كان اخي يدعو اصدقاءه في بيتنا او في المدرسة التي يقيم بها فاتعرف عن هذه الطريقة باصدقائه.

وجاء الضيف فاذا به شيخ نحيف البدن خفيف اللحية يحتذي حذاء اصفر اللون ودون (جوارب) كما كان عليه اغلبنا يومذاك ويلبس جبة بلون أدكن وعباءة سوداء، وهو لباس طلاب الدين، والعلم، وعلى رأسه عمامة بيضاء.

هذا هو الشاعر المدعو الى العشاء عندنا، قلت هذا في نفسي واحسست بهيبته وعظمته تملأ ذهني وبصري ومن عادة البيوت التي لاتملك مستخدمين يقومون بخدمتها ان تنيط خدمة البيت بابنائها الصغار على قدر مايملك هؤلاء الصغار من طاعة، وكان بيتنا دون اغلب بيوت اسرتنا من البيوت التي يتعذر عليها استخدام احد ولما كنت اصغر افراد هذا البيت تحتم علي ان اقوم بكل حاجات البيت فانا الذي انقل كل اللوازم الى (البراني) والبراني هذا كما يصطلح عليه النجفيون هو غرفة الاستقبال وكثيرا مايكون هذا البراني في الطابق الثاني يصعد اليه الصاعدون من سلالم تبدأ عند باب الدار ليكون بمعزل عن الحرم الذي يسمى (بالدخلاني) وفي الغالب يكون هذا البراني مطلا على الشارع العام وخارجا من سوية جدار الدار من الاعلى بما يقرب من متر واحد وكانت تسمى مثل هذه الغرف (بالشناشيل).

وهكذا بدأت انقل الابريق لغسل اليدين ثم الصينية ثم اواني الطعام آنية بعد آنية وانا احافظ عليهما محافظتي على روحي وكنت كلما صعدت بشيء من الاشياء الى البراني حدقت الى وجه هذا الشاعر وامعنت النظر في شخصه ولم اكن افهم ماكان يقوله وينطق به ولكن بيئتي ونشأتي كانت تجعل للشعر منزلة كبيرة في نفسي على الرغم من ان معرفتي بالشعر وحدوده لم تزد على معرفة صبي في مثل هذه السن.

وكنت انا طالبا في المدرسة العلوية، وهي اول مدرسة عصرية حديثة أنشئت لتدريس العلوم العصرية واللغات الحية، وكان العلماء الروحانيون يحدبون عليها ويساعدونه ويجوزون انفاق الحقوق الشرعية عليها، وكان من عادة هذه المدرسة ان تدعو رهطا من وجوه اهل العلم والادب لحضور امتحاناتها السنوية، وقد رأيت ذات يوم هذا الضيف الشاعر وانا اؤدي امتحاني الشفهي امام احدى الخرائط وقد عرفته، واغلب الظن انه لم يعرفني.

ثم رأيت هذا الشاعر نفسه بعد مدة ومعه السيد مير علي (ابو طبيخ) في ظهر احد الايام في غرفة اخي بمدرستنا الدينية المعروفة بمدرسة الخليلي الكبرى، وقد جئت اليها من البيت بناء على وصية من اخي ببعض الارغفة من الخبز ومقدار من التمر وكان اخي قد اصطاد عددا من الحمام المعروف بحمام الحضرة والذي كان اكله محضورا لقداسته او انه كان محرما في شريعة العوام فلم يستطع احد ان يتجاهر بأكله وقد تم طبخ هذا الحمام في نفس غرفة اخي في المدرسة وتم اكله في خفية من العيون، ويغلب عليّ ظني اني قد بدأت اعرف ان هذا الشاعر هو الشيخ محمد رضا الشبيبي ويغلب على ظني اني كنت قد عرفت الشيخ جواد الشبيبي مما كنت اسمع في بيوتنا قبل ان اعرف الشيخ محمد رضا الشبيبي معرفة كافية فقد كانت تربط بين الشيخ جواد الشبيبي والد الشيخ محمد رضا وبين اسرتي روابط جد وثيقة وكان للكثير من افراد اسرتي دواوين تجمع بين اهل العلم والفضل والادب فكان اسم الشبيبي الوالد يملأ هذه الدواوين كما يملأ دواوين النجف الاخرى وكان لابي بصورة خاصة اتصال ادبي وثيق بالشيخ جواد الشبيبي فكوّن كل هذا في نفسي معرفة اوسع بالشيخ محمد رضا الشبيبي يوم تم لي ان اعرفه معرفة تتناسب ومداركي واحاسيسي المحدودة..

وتدعوني مناسبة (حمام الحضرة) الى ان اذكر ايام الحرب العظمى الاولى فقد كانت اياما مجدبة قاحلة ولايبعد ان يكون قد ظهر نقص كبير في عدد الحمام لا بسبب الجدب والقحط وجوع الحمام وانما بسبب كثرة صيده، كما ظهر هذا النقص في ضرب الحصار على النجف من قبل الانكليز في سنة ١٣٣٦ هجرية التي اضطر فيها السكان إلى ان يصطادوا الحمام ويأكلوه خفية عن الناس واني اعرف رجلا من اهل الفضل والوجاهة كانت له في بيته غرفتان تتصل احداهما بالاخرى بواسطة باب فكان يفتح باب إحدى الغرفتين بعد ان يضع فيها شيئا من الحبوب فاذا مادخل الحمام هذه الغرفة اسرع الرجل فأغلق الباب عليه ثم فتح الباب الثاني من وسط الغرفة الثانية ليدخل الطير فيها فيحتفظ به ويذبحه في ذلك اليوم او في الايام التي تليه وبذلك كان يستغني عن شراء اللحوم ويسد الحاجة التي لم يكن يقوى على سدها بغير هذه الطريقة وقد اعتاد هذا الرجل مثل هذا العمل منذ ايام الحرب الاولى وبقي يمارسه حتى مات مع ان احواله قد تحسنت وقد اصبح من اهل الثراء وانا نفسي قد اكلت من هذه الطيور وقد بلغني ان شيخ الشريعة المرجع الروحاني الاعلى في الثورة العراقية الكبرى بعد الميرزا الشيرازي كان لايكترث بالسواد والعوام وكان لايتخفى في اكله الحمام وكثيرا مادعاني ابنه الشيخ محمد الشريعة وهو الان اكبر العلماء الروحانيين في باكستان اقول كثيرا ما دعاني الشيخ محمد على اكلات قوامها هذا الحمام الذي كان يصطاده هو بوسيلة السلة الكبيرة في بيته وفي خفية من الناس.

وعرفت الشبيبي مما كان يصل الى اخي من صحف ومجلات وعلى الاخص مجلة العرفان وكانت لديه منها مجاميع قديمة واول ما حفظت للشبيبي من شعر كانت قصيدته القومية المردوفة بالهاء والتي يقول فيها:

اي دمع يفيض من اي مقلة
لوقوفي بين الفرات ودجلة
لست ابكي على فراتي فرادا
انا ابكي على الجزيرة جملة

وحين شببت واصدرت جريدة الهاتف نشرت لعدد من الشعراء في الهاتف قصائد على هذا الروي والبحر والقافية مبارين فيها الشبيبي في مناسبة تتعلق (بدلّة) قهوة كانت قد اهديت لي وكان الشيخ عبدالحسين الحلي من المجودين فيها وجاء منها:

لك مني تبدي التحايا هديّ
لك زفت من بعد طبء ومهله
لست ادري ولا الهدية تدري
ماالذي قد تكلفت لك حمله

ثم حفظت القصيدة القافية التي يقول فيها الشبيبي:

لم يبق لي الا الشباب وانه
ديباجة ضمن الاسا اخلاقها
نزلت بثهلان الهموم لم يطق
حتى نزلن بكاهلي فأطاقها

ولم تزل ذاكرتي تحتفظ بالشيء الكثير من ابيات هذه القصيدة، ولم يستطع تباعد الزمان ومرور الايام ان يمحوها من ذهني، بل انني لفرط تعلقي بهذه القصيدة خاصة نظمت قصيدة اهنئ بها ابن عمي محمد الخليلي بعرسه في اوائل نظمي الشعر جاءت من حيث لم التفت على رويها وقافيتها باستثناء اعرابها الذي جعل قافيتي مجرورة فكان منها مايلي:

رغم الهموم ورغم ضيق نطاقها
فرجت عن نفسي بكأس دهاقها
ام الشعور صفاؤنا بصفائها
وسلامة الاذواق في استذواقها
طافت علي بكأسها وكلاهما
مشتاقة تسعى الى مشتاقها

وحين تم لي ذات يوم ان اقص على الشبيبي تعلقي بقصيدته القافية ثم حين تم لي ان اقرأ عليه القصيدة قال لي وهو يثني علي:

-لست ادري لم لا تواظب على نظم الشعر؟.

ولم اكن انا وحدي الذي تأثر بشعر الشبيبي وتأثرت بهذه القصيدة خاصة بل ان كثيرا من الشعراء باروا قصائد الشبيبي وباروا هذه القصيدة بالذات وكان من اولئك محمد مهدي الجواهري الذي تقصد مباراتها في قصيدته التي يقول فيها:

طوت الخطوب من الشباب صحيفة
لم الق منها ما يعز فراقها
لحقت فلسطين بأندلس اسى
والشام ساوت مصرها وعراقها
مهضومة من ذا يرد حقوقها
واسيرة من ذا يفك وثاقها؟

وقد تلقى الشبيبي دروس الشعر والادب في محيط النجف كما اعتاد ان يتلقاها كل الذين خصهم الله بالملكات والادب في محيط النجف كما اعتاد ان يتلقاها كل الذين خصهم الله بالملكات الشعرية، فالنجف كلها تكاد تكون مدرسة واسعة لصقل المواهب الادبية وان لمجالسها واندیتها الخاصة والعامة، ولمنابرها الحسينية التي يرقاها الخطباء باسم تأبين ابي عبدالله الحسين (ع) شأنا كبيرا في صقل الاذهان وشحذها واخراج موهبة الموهوبين الى حيز الوجود خصوصا وقد اصبح الشعر منذ اول تاريخ هذه المدينة هو المعبر عن الشعور والاحاسيس بل صار طوال هذه القرون عنوانا لثقافة فكلمة الشاعر في هذه المدينة كلمة كبيرة تقاس اهميتها بمقياس شعره وشاعريته، ولقد ذكر النجف وميزتها وقيمتها المكتسبة من مدفن الامام علي (ع) فيها عدد من فحول الشعراء العرب وهم بعيدون عنها فضلا عن جميع المؤلفين والكتاب الذين تولوا كتابة تاريخ الشعر والادب العربي، وقد ترك الشعراء العرب في مختلف الادوار والعصور ما يدل على قيمة هذا البلد وشأنه في تكييف النفوس وكان منهم البحتري، وابن حما، والمتنبي، وابو اسحاق الصابي، والحسين بن الحجاج، ودعبل الخزاعي، والصاحب بن عباد، والشريف الرضي، وعلي بن عيسى، والفرزدق، والكميت، ومئات من كبار الشعراء المتقدمين، ومئات من كبار الشعراء المتأخرين لذلك لاغرابة ان تنشأ في النجف طبقات من الشعر متسلسلة طبقة تروح وطبقة تأتي بعدها فتتمرس بنظم الشعر في زف التهاني وتتمرس بنظم الشعر في تقديم المراثي وتعبر عن احاسيس

العامة والخاصة حتى غدت النجف سوقا للشعر مفتوح الابواب للشارين والبائعين والمتفرجين ليلا ونهارا.
وكانت الطبقة التي سبقت طبقة الشيخ محمد رضا الشبيبي واقرانه مؤلفة من كبار شعراء العربية وفحولها كان منهم السيد محمد سعيد الحبوبي والسيد جعفر الحلي والسيد ابراهيم الطباطبائي والشيخ جواد الشبيبي (والد الشيخ محمد رضا الشبيبي) والشيخ عبدالكريم الجزائري والشيخ محمد السماوي والسيد باقر الهندي، والسيد رضا الهندي وآغا رضا الاصفهاني، والشيخ عبدالحسين الحياوي، والشيخ عبدالحسين الحلي وكان الاخير اصغر تلك الطبقة سنا، ولهؤلاء وغيرهم تاريخ حافل بانصع وجوه الادب واروع ضروب الشعر ولم يزل تأريخ الادب العراقي مفتقرا الى مؤرخ يعنى بهذا العصر وهذه الطبقة ليصور لنا التيارات الفكرية والنوازع النفسية والحياة الاجتماعية لتلك الحقبة من السنين ثم ليرينا مدى بلوغ الشاعرية عند كبار شعراء ذلك العصر.
ولقد تأثر الشيخ رضا الشبيبي بالطبقة التي تقدمته في صياغة اللفظ والتركيب وطريقة النظم وهي طريقة اكتسبتها النجف من العصر العباسي وظلت تحافظ عليها من حيث اللغة والسبك، اما المعاني والتصوير والافكار فقد كان الشعر النجفي يستمدها من ظروفه وبيئته ومحيطه لذلك تأثرت كل طبقة من طبقات الشعراء ببيئتها من حيث المعنى بينما بقيت محافظة على السبك العربي الاصيل وقد حدث بسبب تغيير البيئة والافكار عند طبقة الشيخ رضا الشبيبي شبه ثورة في الشعر جعلت التباين بين شعر الطبقتين كبيرا جدا، ولا ادل على ذلك من قول الشبيبي نفسه في مقدمة ديوانه التي يقول فيها: تألفت هذه المجموعة الشعرية خلال مدة لاتقل عن الثلاثين سنة كان الشطر الاول منها حافلا بالحوادث الجسيمة اتجه الناس فيه اتجاها جديدا لم يسبق له مثيل، ومالوا الى الاهتمام بمظاهر التقدم والرقي على اختلافها، وذلك بمجرد اعلان الدستور في بلاد الدولة العثمانية سنة ١٣٢٦هـ ١٩٠٨م.

الشبيبي اول من فكر هو وزمرة من انداده في النجف باحياء التراث الادبي وتأسيس جمعية تقوم بدراسة المخطوطات وتحقيقها وتولي طبعها ونشرها على غرار لجنة التأليف والترجمة والنشر التي تأسست بعد ذلك بزمن في مصر.

عرف الشيخ محمد رضا الشبيبي وجماعته ومن بينهم الشيخ علي الشرقي بما عرف به السماوي ولكن السماوي كانت له شهرة اوسع في معرفة خصائص الكتب واهميتها وقد كان حجة في هذه المعرفة فصار الشبيبي هو الاخر يحاذر من ان يجاهر بشراء ماكان يقع من المخطوطات والكتب القديمة.

وقد امتاز العصر المذكور بكونه عصر اليقظة في الفكر والشعور، تفنن الخيال العربي فيه في التعبير عن هواجس النفوس الطامحة الى مجاراة الامم الناهضة الراغبة في التخلص من عوامل الضعف والانحلال وحاول الادب ان يمثل الحياة وذلك في مختلف صورها الضاحكة والباكية وشتى مظاهرها المشرقة او الداجية.
والشبيبي اول من فكر هو وزمرة من انداده في النجف باحياء التراث الادبي وتأسيس جمعية تقوم بدراسة المخطوطات وتحقيقها وتولي طبعها ونشرها على غرار لجنة التأليف والترجمة والنشر التي تأسست بعد ذلك بزمن في مصر، وقد باشر الشبيبي وجماعته حضور بيع الكتب بالمزاد الذي كان يجري في كل اسبوع في النجف وقد عرف الشيخ صادق الكتبي يومذاك بانه هو الذي يروج لهذه الكتب ويساعد طلاب العلم على الشراء ويمهلهم اذا صعب عليهم دفع الثمن في نفس الوقت وكان يتولى المزاد بصوت جهوري عذب واشعار يقولها منغمة بالعربية والفارسية ظل منها هذا الصوت يرن في اذني للان:

كجا رفتند اقايسان
همه بارسفر بستند ورفتند

اي اين ذهب السادة الذين يعرفون قدر الكتب؟ لقد رحلوا وا اسفاه ولن يعودوا، ثم يطوح بعد ذلك بصوته صارخا:

-اول مزاد.. اول مزاد..

وكان يوم الخميس ويوم الجمعة من كل اسبوع- وهما اليومان اللذان تعطل فيهما الدروس- قد خصا بمزاد الكتب فيقبل العلماء والاساتذة والطلاب على شراء ما يهمهم من الكتب من هذا المزاد الذي كان يجري في (قيصرية علي آغا) وكثيرا ما يقع في المزاد من نفائس المدخرات مالا يجري على بال، وكثير من الحاضرين كان يتطلع الى المتخصصين بمعرفة الكتب واهميتها، حتى اذا رأوهم يزيدون في ثمن كتاب علموا بأهميته وراحوا يزيدون هم عليه ليحتكروه لذلك كان الشيخ محمد السماوي وامثاله يتجنبون ان يزيدوا شيئا على الكتاب الذي يريدونه حذرا من منافسة الاخرين لهم في شرائه، وكان الشيخ محمد السماوي يأتي مكتبة الشيخ صادق الكتبي يوم الاربعاء ليلقي نظرة على ما سينزل غدا او بعد غد الى سوق المزاد ويعين الكتب التي يريدها ثم يوعز الى بعض خاصته ان يحضر (المزاد) ويتولى (المزايدة) نيابة عنه متبعا اشارة السماوي في استمرار الزيادة او الوقوف عند حد معين دون ان يلتفت الحاضرون الى هذه الاشارة.
وعرف الشيخ محمد رضا الشبيبي وجماعته ومن بينهم الشيخ علي الشرقي بما عرف به السماوي ولكن السماوي كانت له شهرة اوسع في معرفة خصائص الكتب واهميتها وقد كان حجة في هذه المعرفة فصار الشبيبي هو الاخر يحاذر من ان يجاهر بشراء ماكان يقع من المخطوطات والكتب القديمة، وقد تجمعت لدى الشبيبي طائفة كبيرة من رسائل وكتب مخطوطة ولم تزل للان عنده وقد اعتمدها فيما كتب من بحوث وما حقق من مسائل وكان له الفضل في الاحتفاظ بعدد من النسخ المنفردة وبالنتف التاريخية عن النجف بصورة خاصة وعن تاريخ ثلة من رجالات الادب والعلم في العراق بصورة عامة حتى صار يعرف الكثير من الشؤون الخاصة اعتمادا على تتبعه للاسناد والمذكرات والحجج المرعية بل حتى التوافه من الامور كان يلتقطها ويجلو بها الغوامض من الاحوال فقد نقل مرة وكان قد قرأ ذلك في مذكرات للسيد محمد الهندي والد السيد باقر والسيد رضا الهندي وكان الهندي هذا من المراجع الروحانية الكبرى نقل انه قرأ في خواطر السيد محمد الهندي انه حين انتقل من داره المستأجرة الاولى الى الدار المستأجرة الثانية كان قد ترك لاهل الدار حبا للماء وطاوة سمك لم ينقلها معه وهذا الخبر وان بدا تافها في اعين الناس لكنه يدل كما يستنتج الشبيبي على اهمية ثمن الحب والطاوة عند الناس حينذاك او اهميتهما عند السيد محمد الهندي لفقره بحيث يستوجب ذكرهما في دفتر خواطره، وقد ظلت هذه النزعة نزعة التدقيق والتحقيق ترافق الشبيبي الى ايامه الاخيرة مع ان فكرة جمعية النشر قد ماتت في مهدها وفشلت بعد ان صدر لها بعض الكتب فقد سعى كثيرا الى ان يحصل من السيد عباس شبر حين كان السيد عباس قاضيا في بغداد على دفتر مذكرات يومية كان جده السيد عبدالله شبر قد كتبه والسيد عبدالله شبر من اكابر علماء القرن الثاني والثالث عشر الهجري وقد جاء في هذا الدفتر انه اي السيد عبدالله كان قد اشترى عبدا مملوكا بما يساوي ثلاثة دنانير بعملتنا اليوم واعتقد واشترى حمارا بما يساوي ربع دينار فركبه بقصد الزيارة من الكاظميين الى كربلاء حتى اذا انتهت الزيارة باعه وحين لم يظفر الشبيبي بهذا الدفتر اكتفى بأن نقل منه بعض الفقرات بخط السيد عبدالله شبر.
وانشغل الناس بالثورة العراقية ولم يكن الشبيبي حينذاك موجودا في العراق فقد قرّ الرأي بعد ذلك الاجتماع الذي جرى في مقر الحاكم الانكليزي في النجف ان ينقل الشبيبي الى الملك حسين آراء الناس وتمسكهم بالاستقلال ليوصل الملك حسين اصواتهم الى الخارج ويسندهم في موقفهم لان الشك كان قد تسرب الى جميع النفوس بأنه بات من اليقين عند الجميع بأن الانكليز سيحولون دون سماع اميركا ودون سماع العالم كله ودون سماع مؤتمر الصلح صوت العراق ورغبته وامانيه فرأوا ان يثبتوا هذه الاصوات والاراء والاماني في حجج وعهود يوقعونها باختامهم وينيبون عنهم الشيخ محمد رضا الشبيبي ليقدمها الى الملك حسين في الحجاز بعد ان يوضح النقاط في تقرير عام يتضمن مطالب العراق في مواد وفقرات.
ولم اعد ارى الشيخ محمد رضا الشبيبي ولم اعد اسمع اسمه فقد انشغل الناس بالثورة وحل اسم اخيه محله ثم ان اخي عباس كان قد فر بعد فشل ثورة النجف ١٣٣٦هجرية وحكم عليه من قبل المحكمة العسكرية الانكليزية بالاعدام غيابيا وانقطعت المجلات والصحف العربية عني ولم اعد اقرأ عن الشيخ محمد رضا الشبيبي شيئا، ولاول مرة تتجدد ذكراي له وتقع عيناي عليه كان يوم دخل الملك فيصل الاول الى النجف والى جانبه كان يمشي الشيخ محمد رضا الشبيبي فعادت تلك الحلقات من ذاكرتي تتصل ببعضها من جديد في سلسلة اقوى واشد صلابة وفي هذه المرة كان اخوه محمد حسين الشبيبي هو الذي قرب بعضنا الى بعض اكثر حتى اغتدت تلك السلسلة سلسلة متراصة محكمة فقد اعلن الاستقلال وفتحت المدارس وكان لطلاب المدرسة العلوية وخريجيها شأن في هذا الدور فقد بدأ المسؤولون وكان لطلاب المدرسة العلوية وخريجيها شأن في هذا الدور فقد بدأ المسؤولون يسعون للبحث عنهم وتعيينهم معلمين في المدارس الاميركية وكنت انا من بعض هؤلاء وكان محمد حسين الشبيبي طالبا بل انه كان اكثر من طالب لانني كنت افضله على بعض المعلمين الذين عملوا معا في مدرسة النجف الاميرية.
وقد صارت له ثقة بنفسه جد كبيرة كسبها من كثرة التنويه باسمه في مجالس الادب ودفعته هذه الثقة الى ان يباري كبار الشعراء وينظم على روي قصائدهم فبارى لسان الدين الاندلسي في قصيدته (جادك الغيث اذا الغيث همى) وبارى ابن التعاويذي في قصيدته (قل للسحان اذا مرته يد الجنائب فارجحن) وبارى الشيخ علي الشرقي في كثير من القصائد، كما بارى الشبيبي في عدد من القصائد حتى اجتمعت لديه مجموعة من هذه القصائد التي بارى فيها كبار الشعراء وقال لي ذات يوم لو انك سعيت فحملت ضياء سعيد وكان من اصدقائي المقربين على الانفاق على هذه المجموعة واخراجها الى حيز الطبع باسم (حلبة الادب) باعتبارها حلبة سباق فقد جربت انا معه – يقول الجواهري- مختلف الحيل فلم انجح، فكلمناه معا وحصلنا منه على مبلغ اخذه الجواهري وطار به الى بغداد ليطبع به تلك المجموعة.
وبعد مدة عاد الجواهري من بغداد ومعه المطبوع من حلبة الادب وقد حشى هذه القصائد بتعليقات لم تخل من وخز في الشرح وكان من بينها مباراته لقصيدة الشبيبي النونية التي يقولها فيها الشبيبي:

فتنة الناس وقينا الفتنا
باطل الحمد ومكذوب الثنا

حتى اذا وصل الشبيبي في قوله:

كلنا يطلب ماليس له
كلنا يطلب ذا حتى انا

هنا كان الجواهري قد علق باسم ضياء سعيد على هذا البيت بالاية القرآنية: (واعترفوا بذنبهم فسحقا لاصحاب السعير) فثارت عندها ثائرتي، وهاج غضبي لاني انا الذي اقنعت ضياء سعيد بدفع نفقات الكتاب فكيف ارضى لاحد ان يمس الشبيبي؟ ولم اذكر شيئا اكثر من ان الجواهري قد ارضاني بقوله انه قد قابل الشبيبي فوجده يضحك من هذه التعليقة وليس في ذهنه اي شيء وقد ثبت عندي صدق ذلك فيما بعد وعاد الصفاء بيني وبين الجواهري..

عن كتاب هكذا عرفتهم- جعفر الخليلي

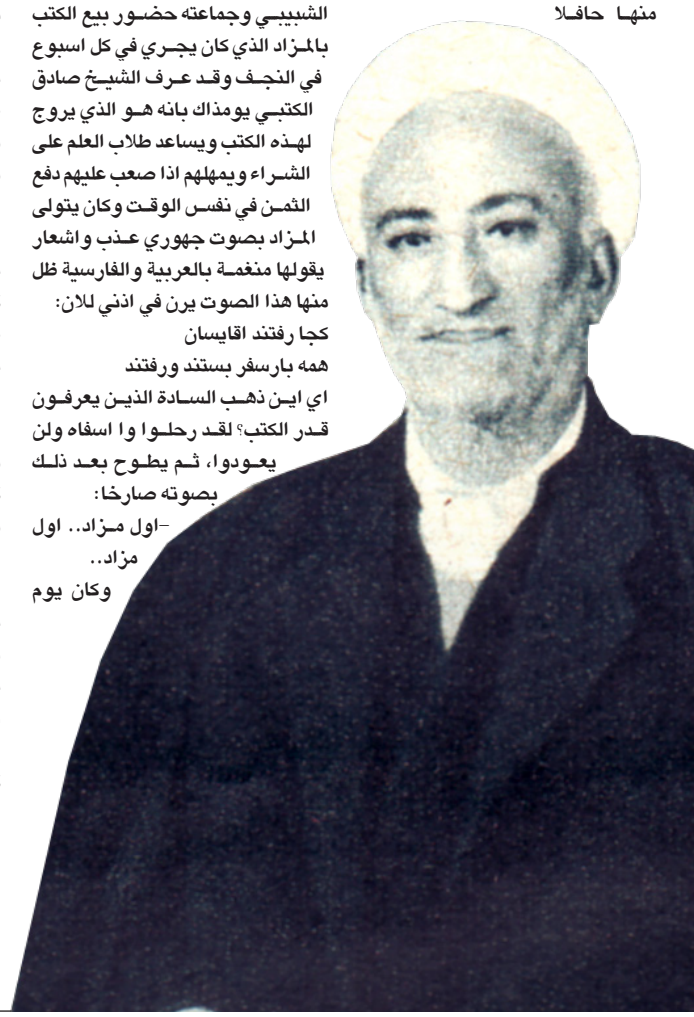

العراقيون
من زمن التوهج
العدد (1665)
السنة السابعة
الخميس (26)
تشرين الثاني2009

الشـبيبي كما وصـفه الريحاني

رضا الشبيبي شارع روحي لايغره العلم، ولا يطوح به الجهل، وهو شاعر تقليدي يحترم الماضي ويتورع للحاضر، وينظر الى المستقبل بعين الرضى والاطمئنان انما سبيله الروحي لايخلو من الوعورة والعقبات، بيد انه مؤمن على الدوام حتى في حيرته، ومطمئن حتى في اضطرابه وقد يعد وهو ضمن دائرة محدودة وان اتسعت، من المتمردين وقد تعترضه اذا ماحاول اجتياز الحدود، عناية الهية او شبه الهية، فيعود الى ربوع الامان، وفي قلبه خشوع، وعلى لسانه كلمات الحمد والرضى وقد يدنو الشبيبي في غضبة طاهرة من ظل العرش الاعلى، قد يدنو حتى من العرش والشعلة لا تزال في قلبه، والشرر في ناظريه، فيزر بعد ذلك جبته، ويتضمخ بالطيب، ويجلس على فراش الحب والوداعة، وقد صفا نوره، وسكن وضعه، مثل سلفه الشريف الرضي.

في مجموعة متسلسلة من الشعر شبيهة بملحمة وجدانية، تتجلى روح الشبيبي في نضارتها ومتانتها، وفي يقينها وحيرتها وفي اطمئنانها واضطرابها فهي تحلق في سماء الخيال والحقيقة حول رواسيها العالية، وفوق الوهاد السحيقة بين تلك الرواسي فتثب من قنة الى قنة، ثم تعود سالمة آمنة الى بستانها في الكرادة، او انها تجري في (سكرة النفس) في بحر زاخر من الهول (وما شطأت حينا ولا قاربت مرسى)..

تجللها ليل طويل وما رأت
على طوله بدرا ولا طالعت شمسا
سفينة نفس غامرت وتعرضت
لها الهوج يبقين من احد نفسا
ولكنها نحت من تلك الاهوال
وما نجت من توبيخه لها.
فيا لك عقلا ما اند عن الهوى
ويا لك قلبا ما اشد وما اقسى

قد يكون الشبيبي ربانا لسفينته ماهرا، ولكنه لايستطيع ان يقول ماقاله الشاعر الانكليزي ارنست هنلي:

اني لنفسي الربان،
واني على امري المهيمن.

بل هو يتقلب ويتردد في اقدامه وتطوحه، فيصعد ثم يهبط في سلم الفكر والاحساس.

انجدت من بعد اغوار زللت بها
فانجاب عن ثقتي بالله انجادي
وقد حدثني اهواء مضللة
عدلت عنها وضل الركب والحادي

وهو يدرك في ساعة الندم ان الله سبحانه وتعالى لايزال على عرشه، مشرفا على الكون بيد ان حياة الانسان شقاء وبلاء لما فيها من ضلال، ومن كفر والحاد، فيشكو الشاعر، ولاغرو حتى صحبه وخلانه وينشد التعزية والسلوان، في الوحدة والزهادة..

غريب بهذي الدار طال اغترابه
فلا يزدهيه اهله وصحابه
واسعد خلق الله من جاء في غد
قليلا تقصيه يسيرا حسابه

وقد سدد خطواته في السبيل الذي يصدق فيه العمل القول، والخبر الخبر، فقال:

واني لميال الى محو ماجرى
به قلمي او ما تضمنه طرسي
كتبت وقد جاريت فيما ظننته
علاجا لاهواء النفوس هوى نفسي

انه لشاعر صادق اللهجة، متقد الوجدان، وهو الى ذلك حلو الشمائل لطيف المزاج، فيحاسب نفسه ويؤنبها، ويسير في سبيله متمهلا متورعا، حينا على طرب وحينا على كرب، وهاهو يشجيك وقد وقف بين قلبه وعقله وقفة الحائر المكتئب فهناك الحبيب، وهناك الرغبة بالزيارة والرغبة عنها تتنازعان فؤاده، قد جاء في هذه القصيدة ببيت فريد في معناه، ما قرأت مثله في التردد لا في الشعر العربي ولا الانكليزي، فعندما يتغلب الشاعر على التردد في نفسه، ويعتزم الزيارة، يردعه في الباب رادع فيرتدع.

وطالما سرت في وجه فلم ارني
الا وقد علقت يمناي بالباب
وان من يزوره من الاصحاب ليزور
الجسم منه اما الاحباء فهو يتمنى
ان يزورهم، وهم مع ذلك المقيمون
في نفسه على الدوام..

شغل السمير جوارحي وشغلتم
روحي فكنتم دونه سمارها
نلتم حقيقتها التي خلصت لكم
طوعا ونال سواكم آثارها

وهذه الحقيقة الروحية تبرز في بيت عن عمره اجاد في معناه.

طل ما تشاء زماني
لست لي عمرا ادراك
ما اتمناه هو العمر

قلت ان رضا الشبيبي حريص على التقاليد الشرعية قلبا وقالبا ولكنه في صعوده ونزوله في سلم الفكر والحقيقة يستحب الوقوف عند بعض المبادئ العلمية الحديثة، كمبدأ ابقاء الانسب مثلا فيقول:

اطبقت اسفاري وقلت لها اغربي
سفر العوالم بعض ما اتصفح
واذا تنازعت البقاء عوالم
صح الاصح بقائه والاصلح

وهو يحمل على اهل الضلال والخرافات في قوله:

عهدت اهلك لم يبطل نكيرهم
على الطغاة فلم صاروا طواغيتا
ملفق من مخاريق كلامهم
ومن محال وان أسموه لاهوتا

ثم يعود الى حصنه الشرقي الحصين الى ايمانه بالقضاء والقدر.

من الجهل لا من صحة العقل اننا
نحم في الاقدار اوهام عاقل
امور باسعاف المقادير نلتها
على حين اعي نيلها بالوسائل

هو لايرى ان في هذه العقيدة عقالا لشبان الشرق، وهم في معترك هذه الحياة الحديثة، الغربية الالوان والاشكال، بل يرى عكس ذلك اني انقل من نثره السلسل المتين كلمة كتبها في التفوق الغربي الموهوم، قال:

((نحن الان في عصر الشك، كما يقول فريق من اهل الغرب، ومن ذلك ان شكنا الان يتناول حتى اسس الثقافة التي يريدها معظم الغربيين للشرقيين ومن بين هذه الاسس غمز الشرق والشرقيين والتنديد تصريحا او تلويحا بقيمة اثرهم في الحياة، حتى ضعفت ثقة شباب الشرق بانفسهم، وببطولة اسلافهم ، وتلاشت في بعض الجهات، وحل محلها الثقة المطلقة بتفوق الغربيين))..

هذا الى ان نشبت الحرب العامة الاخيرة، واسفرت بعد ان ظهرت اسبابها ونتائجها للعيان، عن حركة فكرية عامة تجتاح الان اذهان البشر بدون تمييز ويتوقع ان يكون من نتائج هذه الحركة الفكرية رجوع القوم عن الشطط في احكامهم على الشرق والشرقيين، ونبذ دعوى التفوق الغربي الموهوم، والتسليم بتكافؤ المواهب والكفايات في اصل فطرة الجنس البشري فليس في الدنيا من هذه الناحية شرق ولاغرب بل بشر يتداولون التفوق والغلبة، وفق احكام سنن الكائنات العامة ولاشيء افعل في تجديد شباب الشرق، واستئناف قواه للعمل في سبيل حضارته وعمرانه، من رسوخ هذه العقيدة القويمة فيه..

كتاب/ قلب العراق
امين الريحاني

تتجلى روح الشبيبي في نضارتها ومتانتها، وفي يقينها وحيرتها وفي اطمئنانها واضطرابها فهي تحلق في سماء الخيال والحقيقة حول رواسيها العالية، وفوق الوهاد السحيقة بين تلك الرواسي فتثب من قنة الى قنة، ثم تعود سالمة آمنة الى بستانها في الكرادة، او انها تجري في (سكرة النفس) في بحر زاخر من الهول (وما شطأت حينا ولا قاربت مرسى).

عراقيون
من زمن التوهج
العدد (1665)
السنة السابعة
الخميس (26)
تشرين الثاني2009

دفـــــاع
عـــن العلامـــة الشبيبـــي

عبدالقادر البراك

يتمتع الاستاذ هلال ناجي، بطاقات قلما تهيأت للسابقين واللاحقين من المعنيين بالتعقيب على ما يضعه ويحققه الادباء المعاصرون في الوطن العربي، وفي القدرة على تعميم اثاره واخباره على اوسع المجالات والميادين، فلا يكاد يخلو عدد من مجلة (الكتاب) التي يتولى الاشراف عليها بوصفه الرئيس لاتحاد جمعية المؤلفين والكتاب من مقال له وعنه وعن اخبار خاصة وعامة لما يمارسه من نشاطات، ولايكاد عدد من مجلة عربية يتخلف عن نشر الكثير الوفير من انبائه واخباره وفي الحق فان قدرته الاعلامية تتسع لتغطية اخبار بلد بكامله، وليس اخبار شخص واحد كما يفعل في الوقت الحاضر!.

وكثير من تعقيبات الاستاذ وتعليقاته، تتسم بالمجاملة احيانا، وبالغلظة، والشدة احيانا اخرى تبعا لعلاقة ذوي الاثار التي يتعرض لها بشخصه وبادوارهم في دعم مخططاته ومشاريعه ومن هذا التفاوت في (اسلوب الكتابة) فقدت هذه التعقيبات ماكان يجب ان تناله من الثقة الكاملة، وطلب المزيد ولو تصدى بعض ذوي هذه الاثار للرد عليه بما يدحض مؤاخذاته، لما استمر فيما دأب عليه ولاتجرأ –وهو الجريء– على ان يدعو جميع اساتذة الجامعات العراقية الى عدم تقديم اثارهم وتحقيقاتهم الى الطبع والنشر قبل عرضها عليه لتستكمل ما لايمكن ان تستكمله قبل ان ينفخ عليها (الاستاذ) من انفاسه! وهذه – كما لايخفى– دعوى عريضة وعدوان مرفوض ماكان ينبغي سكوت هؤلاء الاساتيذ عليه الا اذا اعتبرنا سكوتهم في معرض الحاجة بان كما يقول علماء القانون.

ولقد كان يهون امر الصديق العزيز الاستاذ هلال ناجي لو قصر نقوده على انداده من الباحثين الاحياء، لانه اقدر على هؤلاء من غيرهم، وان فيهم من يستطيع لو شاء، الذياد عن نفسه، ورد العدوان الواقع عليه بمثله، ولكنه تجاوز هؤلاء الانداد الى من هم اعلى مكانة، وارفع شأنا في مجالات البحث والتأليف والتوجيه والتسديد دون ان يشفع لبعض هؤلاء ارتحالهم الى عالم البقاء منذ زمن طويل، وانه سكت عن نقد اثارهم في وقتها، وعندما كانوا في هذا العالم، عالم الفناء، وكان في الطليعة ممن شملهم بما يمارس من (النقد) العلامة الكبير والفقيد المأسوف العلمية والادبية، قبل الاوساط الوطنية،، على انه قد ادى رسالته كاملة، في مجالات البحث العلمي والادبي والتاريخي– على قدر استطاعته وان مايحسب عليه من هنات هينات، لايمكن ان ينال من مقامه الرفيع ولايمكن ان يبعث الجرأة في بعض اعضاء الاسرة العلمية والادبية، لتوجيه النقد الحاد والكلمات الجارحة التي وجهها اليه الاستاذ هلال ناجي في محاضراته التي شرع باعدادها منذ اكثر من سنة عن الكتاب الذي اودع فيه معهد الدراسات العربية التابع لجامعة الدول العربية محاضرات المرحوم الشبيبي التي القاها على طلبة هذا المعهد عن (ادب المغاربة والاندلسيين) وهي محاضرات اعدها لتحيط الطلاب ببعض مايجب ان يقفوا عليه من هذا الادب لا ان يتخذوه مادة درس اساسية، او حقائق علمية، او تأريخية لاتقبل الدحض او الانتقاد، ومن شأن مثل هذه المحاضرات ان يعقب عليها حال صدورها وفي حالة استمرار ملقيها على قيد الحياة بمقالات ودراسات قد تحمل صاحبها على الرجوع عما ارتأى، وعما توصل اليه من نتائج. اما ان يتوفر الاستاذ هلال على محاضرات الشبيبي بعد ان مر على القائها زمن طويل يوشك ان يصل الى عقدين من السنين، لينقدها بالاسلوب الجارح الذي انتقدها به دون ان تصده عن ذلك مكانة هذا الرجل ولا فضله على الاجيال الطالعة ودون تقدير لان العدوان على رجل فارق دنيانا منذ زمن طويل يخالف المروءة ويجانف قواعد الادب والنقد والذوق فذلك ما كنا نعيذ الاستاذ هلال منه! وما كنا ننتظر من اعضاء الاتحاد ان يستنكروه ويستفظعوه بل ماكنا ننتظر من بعض شهود (المهرجان) الذي تمت فيه عملية الثلب والتجريح والتعقيب عليه بما يلزم.

اما وقد خاب الظن في كل ذلك فقد رأيت من اللازم على ان اتصدى للاستاذ هلال ناجي فاجابهه بحقيقة الانطباع الذي خلفته في نفوس الصفوة الطيبة من ادباء البلد حملته الظالمة على الشيخ الشبيبي، وان اتصدى للدفاع عن المثل والقيم الاخلاقية التي يجب ان يحرص عليها الادباء والنقاد في هذا البلد وغيره من بلداننا العربية، وليس قصدي من كل ذلك للدفاع عن الشبيبي فان الحق عندي اعز عليّ من هذا الرجل الكبير، ولان ماناله من حملات ظالمة في حياته وبعد وفاته لايمكن ان تنال منه منالا..

ولا يسعني وانا انتظر نشر مقالة الاستاذ هلال ناجي لاعقب عليها الاّ ان اتوجه للشبيبي في قبره بقول المتنبي:

فدتك نفوس الحاسدين فإنها
معذبة في حضرة ومغيب
وفي تعب من يحجب الشمس ضوءها
ويجهد ان يأتي لها بضريب

مجلة الف باء١٩٧٢

الشيخ محمد رضا الشبيبي شاعرا

باسم عبد الحميد حمودي

شعر العلامة الجليل يسيطر على العاطفة حين يناجيها، ويقتحم القلوب بلا تكلف، لانه منتزع من قلب عامر، وهو من وحي ضمير حي ووجدان صادق، ونفس ممتزجة بحياة المجتمع، بآماله وآلامه احساسا كاملا، اليس هو القائل:

ليس هذا الشعر ما ترونه
ان هذي قطع من كبدي

فاذن العلامة شاعر الحياة بما فيها من مسرات واحزان.. في شعره عاطفة امة، وامانى جيل، وثورة مجد، وحكمة دهر، يمليه صدق الشعور وسمو المعاني، وبديع التركيب، وسحر النغمة، وجلال الغاية، وصفاء التعبير.

على ان شعره خير دليل تستدل به على رسالة الشاعر المصلح المتمرد والاديب الثائر على جور المتجورين وظلم السلاطين الغاشمين.

واذا كان معاليه يمتاز ويتفوق بشعره السياسي والاجتماعي والاخلاقي فانه شاعر العلم والمعرفة والحكمة بلا منازع وفي شعره كذلك زبدة التجارب في ميادين الثورة العراقية وفي ساحات النضال القومي والاسفار التي تجشمها وفي شعره ايضا خلاصة لدراساته المتواصلة العميقة وبحوثه المستفيضة.

وقلما تقترن ملكة الشعر وملكة النقد في سليقة واحدة، فهو يتصرف في مذاهب النقد كما يتصرف في مذاهب الشعر وقد اعانه على تمييز الكلام، وتصحيح النقد بحث طويل في الادب واللغة واطلاع واسع على التأريخ وفنون المعرفة، ولا تحصى شواهد هذا البحث وهذا الاطلاع فهي كثيرة، منوعة، ولكننا نذكر عنايته بـ(المأنوس من لغة القاموس) ولا نزال على ذكر من بحثه القيم.. في مهرجان ابي العلاء عن اصول اللزوميات قبل التزامها في قصائد الشاعر الحكيم.

وقد عرف عن هذا العالم الجليل ان البحث يشغله عن كل شاغل حيث حل او ارتحل، فما هو الا ان نزل بالشام في بعض رحلاته حتى توفر على دراسة كتاب (ابن الفوطي البغدادي) مؤرخ العراق، واستنفذ تاريخ هذا المؤرخ الكبير من زوايا الترك والاهمال، وقد تمكن ببحثه وتنقيبه من احياء كثير من المخطوطات (كاحصاء العلوم) للفارابي وكتاب (الافادات والانشادات) من املاء ابي اسحاق ابراهيم بن موسى الشالجي، وتسمية ابطال العرب وقاتليهم في الاسلام عن كتاب (مختصر تذكرة الوزير بن حمدون).

كما ان علامتنا الجليل يشارك في مباحث اخرى غير مباحث اللغة والادب والتاريخ، ومن مباحثه التي لم تطبع (تاريخ الفلسفة من اقدم عصورها) وكتاب (في فن المناظرة) وكتاب عن (فلاسفة اليهود في الاسلام) وكتاب (المسألة العراقية) و(تاريخ النجف).

لغة الحب للشيخ الشبيبي

تفاهمتا عيني وعينك لحظة
وادركتا ان القلوب شواهد
مشت نظرة بيني وبينك وانبرى
الى القلب مدلولا من القلب رائد
كأن الذي حاولت ثم وحاولت
من الحب معنى بيننا متوارد
شواهد حالي مفصحات بما انطوى
عليه ضميري لا الفصاح الشوارد
جباه الذين استهجنوا الحب كزة
واوجههم شر الوجوه الجوامد
وما طال عهدي بالقصيد ومن رأى
لكم نظراتي قال: هن الشواهد
إذا لم يكن للعين لحن ومنطق
فمن اين قالوا: للدموع فوائد
وما خير رأس لا تبين لناظر
على طرفة من ناظريه المقاصد
ثنيت اليك النفس عن شهواتها
وجاهدتها ما حب من لا يجاهد
كثير محبوك الذين تجلدوا
واما الذي جارى هواك فواحد
دواوين اهل الحب تفنى وللهوى
هوى الروح ديوان من الشعر خالد

العراقيون
من زمن التوهج
العدد (1665)
السنة السابعة
الخميس (26)
تشرين الثاني2009

سالم الالوسي

عندما زار الشيخ الشبيبي عاصمة الكيشيين !

يعد الشيخ محمد رضا الشبيبي (١٨٨٩-١٩٦٥)من المع الشخصيات الوطنية في ميادين الادب والشعر والسياسة، تجاوزت شهرته العراق فشاع ذكره الطيب في ارجاء الوطن العربي تسنم منصب وزارة المعارف مرات عديدة. ومنها وزارة السيد محمد الصدر التي تم تأليفها بعد ثورة الشعب العراقي وتظاهره ضد معاهدة (بورتسموث) سيئة الذكر، التي ابرمها صالح جبر مع الدوائر الاستعمارية البريطانية في ١٩٨٤/١/١٥، مما اضطرت وزارة السيد الصدر الى الغائها استرضاء وتهدئة للشعب العراقي الرافض لهذه المعاهدة الجائرة. كانت العادة الجارية عند تشكيل اية وزارة من الوزارات قيام الموظفين الكبار فيها بالحضور الى ديوان الوزارة لتقديم التهائي والتعرف على الوزير الجديد ان كان استيزاره يحدث أول مرة.

وفي ١٩٨٤/١/٢٩ شكل السيد محمد الصدر الوزارة وقد شغل الشيخ محمد رضا الشبيبي وزارة المعارف فيها.

وبالنظر لارتباط دائرة الآثار العامة بوزارة المعارف بادر الدكتور ناجي الاصيل مدير الآثار العام يومذاك الى الذهاب مع عدد من كبار موظفي دائرته لتقديم التهاني للشيخ الشبيبي وكانت فرصة طيبة انتهزها الدكتور الاصيل لعرض الاعمال والمشروعات التي تقوم بها دائرة الآثار في مختلف المجالات

ي الاصيل، البرخت كوتزه مدام لويد، اغاثا كريستي،
لامين والى يمينه: ماكس مالوان، مستر بوكانان (امريكي)،
اكرم شكري.
كاتب المقال: من الواقفين ـ الثاني من اليمين.

عراقيون من زمن التوهج
العدد (1665)
السنة السابعة
الخميس (26)
تشرين الثاني2009

وفي مقدمتها التنقيبات الآثارية التي تضطلع بها في موقع عقرقوف، وهي مدينة (دور . كوريكالزو) القديمة، ورأى من المناسب توجيه الدعوة الى السيد الوزير لزيارة الموقع لغرض الاطلاع على النتائج والمكتشفات التي توصل اليها الآثاريون العراقيون فوعد الوزير خيرا.

وعقرقوف هي عاصمة الكيشيين المسماة (دور.كوريكالزو) اي مدينة كوريكالزو. وتقع اطلال هذه المدينة على بعد (٣٠) كيلومترا غربي بغداد وقد جلب منظر بقايا البرج المدرج (الزقورة) فيها انتباه عشرات السياح والرحالة والآثاريين في منتصف القرن السادس عشر، حتى ان بعضهم ظن خطأ ان بقايا البرج (الزقورة) هي برج بابل المذكور في الكتاب المقدس.

والكيشيون الذين اسسوا المدينة، ينسبون الى (كشو) وهو الاسم الذي اطلق على بعض القبال اليافيثية (الهندية . الاوربية) التي نزحت الى العراق من الشرق من مناطق جبال (زاكروس)، وذلك على اثر غزو الحيثيين العراق، ذلك الغزو الذي قضى على حكم سلالة بابل الاولى التي اشتهرت بملكها السادس (حمورابي).

حكم الكيشيون في بداية عهدهم في العاصمة القديمة (بابل) وفي اواسط حكمهم . اي في حدود بداية القرن الخامس عشر قبل الميلاد . اسسوا عاصمة جديدة سميت باسم احد ملوكهم (كوريكالزو الاول)، فسميت دور . كوريكالزو وهو اسم عقرقوف القديم، كما هو مدون بالكتابات والنصوص المسمارية التي كشف عنها في عدد من مواطن الآثار.

اما كلمة عقرقوف، وهو الاسم الحديث للموقع فانه مركب من كلمتين آراميتين هما:

عقرا . ومعناها الخربة او الاطلال

قوفا . بمعنى الاعمدة وقضبان الخشب

لان بطن الزقورة المبني من اللبن تتخلله صفوف (سافات) من البواري . جمع بارية . وهي حصران القصب وقياس قاعدة الزقورة ٦٧×٦٩مترا. كانت مديرية الآثار العامة قد باشرت التنقيب في خرائب هذه المدينة منذ عام ١٩٤٢، وعقرقوف من مواطن الآثار التي لم تمسها معاول البعثات الاجنبية رغم قربها من بغداد.

وقد بر الشيخ محمد رضا الشبيبي بوعده فزار موقع عقرقوف يوم ١٩٤٨/٣/١٩ فاستقبل استقبالا يليق بمقامه من قبل موظفي دائرة الآثار يتقدمهم الدكتور ناجي الاصيل، والاساتذة: حسين عوني عطا . معاون مدير الآثار العام وطه باقر . امين المتحف العراقي ورئيس هيئة التنقيب في عقرقوف واكرم شكري . مدير المختبر الفني لمعالجة الآثار والدكتور حسين محمود الامين . مدير الاشوريات، وبشير فرنسيس مدير التحريات الآثارية، وكوركيس عواد . مدير مكتبة المتحف العراقي، ومحمد علي مصطفى . المسؤول عن التخطيط والرسم الهندسي وصادق الحسني وكاتب المقال وعدد آخر من الموظفين.

وممن حضر الحفل عدد من العلماء الاجانب نذكر منهم البروفيسور ماكس ملوان وزوجته كاتبة القصص البوليسية ذات الشهرة العالمية (اغاتا كريستي)، والدكتور البرخت كوتزه استاذ الدراسات المسمارية في جامعة (ييل) الامريكية الذي قام بقراءة واستنساخ قانون مملكة اشنونا الذي تم اكتشافه في تل حرمان قرب بغداد الجديدة، والدكتور/ اوليفر جورني . الاستاذ المختص بالدراسات الحيثية الذي قام بدراسة بعض الرقم الطينية المكتشفة في عقرقوف والمدام لويد زوجة المستر سيتون لويد المستشار الفتي في دائرة الآثار العامة لاذي كان يشغل مدير المدرسة الاركيولوجية البريطانية ببغداد، ومما تجدر الاشارة هنا الى ان الدكتور ناجي الاصيل توفق في انهاء عقد عمل هذا المستشار البريطاني وعدم تجديده بمساعدة الشيخ الشبيبي نفسه ومما يحسن ذكره ايضا ان البروفيسور ملوان خلال هذه الزيارة الى العراق قد حصل على موافقة دائرة الآثار العامة للسماح للبعثة البريطانية التي يرأسها باستئناف التنقيبات الاثارية في موقع نمرود (كالخ القديمة) وذلك احتفاءً بالذكرى المئوية لقيام المنقب البريطاني (اوستن لايارد) بالتنقيب في نمرود عام ١٨٤٩.

وخلال تجوال الشيخ الشبيبي في اطلال عقرقوف، تولى الدكتور الاصيل شرح المعلومات والتفصيلات الخاصة بقيام دائرة الآثار بالتنقيب الآثاري في الموقع لاول مرة، ثم تولى الاستاذ طه باقر توضيح تاريخ الموقع وادواره التاريخية والرحالة الاجانب الذين قاموا بزيارته ووصفه في رحلاتهم ثم جاء دور السيد حمد علي مصطفى الذي شرح للسيد الوزير تفاصيل الآثار المكتشفة كالقصور والمعابد واهم اللقى الآثارية المكتشفة خلال التنقيبات.

وقبل انتهاء جولة الشيخ الشبيبي، ذكر ان عقرقوف وردت في المصادر العربية مثل المنتظم لأبن الجوزي، واشار الى قصة الخليفة العباسي ابي جعفر القائم بامر الله (٣٩١. ٤٦٧هـ) وخروجه من بغداد على اثر دخول البساسيري اياها، وكيف لحقه احد (الروزكارية) واسمع الخليفة الكلام الشنيع وتبعه الى المكان الذي نزل فيه من مشهد باب التبن حتى عقرقوف وتفاصيل لقصة ذكرها ابن الجوزي في المنتظم.

كما اورد الشيخ الشبيبي ثلاثة ابيات من الشعر لابي نواس ذكر فيها عقرقوف، وردت في معجم البلدان لياقوت الحموي.

وقد اختتم الشيخ الشبيبي حديثه بقوله انه يحب الآثار وكان ذكر عددا من مواطن الآثار في اشعاره متغنيا بمآثر الاجداد وحضارات البلاد.

محمد رضا الشبيبي .. المعرفة الموسوعية

الشيخ محمد رضا الشبيبي شاعر وناقد وباحث لغوي، وناشر للعلم واللغة، ومعني بآثار اللغة العربية قديمها وحديثها. ولد في مدينة النجف عام ١٨٨٩، وتوفي في عام ١٩٦٥. وهو شاعر فصيح اللفظ ناصع المعنى سليم العبارة. وينظم الشعر في أغراض شتى: ينظمه في الأخلاقيات والوطنيات وفي الحوادث الكبرى، وفي المعاني التي اصطلح المحدثون على وصفها بالمعاني الغنائية.

ياسر جاسم قاسم

كان للشبيبي دور كبير في مجامع الفقه العربية، ومنها دوره في مجمع اللغة العربية في القاهرة حيث كان مجلس المجمع في دورته الرابعة عشرة (١٩٤٧/١٠ و ١٩٤٨/٥) قد نظر في شغل الكراسي الخالية بوفاة أحد أع ضاء المجمع، ففاز الشبيبي من العراق بأحد المقاعد، وخليل السكاكيني من فلسطين، وعلي عبد الرزاق وإبراهيم المازني من مصر. وفي ١٩٤٨/١/٢٦ صدر مرسوم بتعيين الشيخ الشبيبي عضواً عاملاً في المجمع.

أما دور الشبيبي في المجمع العلمي العراقي فهو الذي دعا إلى تأسيسه على غرار مجمع اللغة العربية في القاهرة ودمشق. وقد صدر نظام أول مجمع علمي عراقي في ١٩٤٧/١١/٢٦. وقد أنتخب الشبيبي أول رئيس له. وأعيد انتخابه رئيساً في ١٩٤٨/١٠/١. وتخلى الشبيبي في ١٩٤٩/٢/١٦ عن رئاسة المجمع بسب التشريع الذي أصدره نوري السعيد والذي يمنع جمع العضوية في المجلس التشريعي وعمل آخر. وأعيد انتخابه رئيسا للمجمع بعد إلغاء نظام المجمع وصدور نظام جديد في حزيران ١٩٦٣. ولكن العلامة الشبيبي استقال مرة أخرى من رئاسة المجمع احتجاجا على التدخل في شؤون المجمع الداخلية وزجه في خدمة الأغراض السياسية.

كان الشاعر الشبيبي شاعرا واقعيا، حيث ساهمت الأحداث التي كانت تمر في ساحة الوطن العربي والعراق في صقل واقعية شعره، فكان شعره صوتا صادقا بشعور المواطنة وتبيان دور المواطن في المسؤولية ومراقبة أجهزة الحكومة، و في هذا المجال يقول:

لئن كلفت نطقك قول صدق --- فما كلفتُ فوق المستطاع

وليس افل حدٍ من أديب --- تخيل شعره شرك انتجاع

يصانع باللسان لنيل رزق --- يُجانِب فيه فن يد صناع

ونهج الجد للأرزاق أدى --- بأهل المجد من نهج الخداع

فيا شعراءنا انتقلت إليكم --- مراقبة العوائد والطباع

من أقام الجيش والدستور حتى للمخيم --- أأنا صيرت فرعونك سلطانا مُطعم

وكان الشبيبي دائما يشخص الداء ويصف الدواء، ويقوم بعرض السبل الكفيلة لانجاح المشاريع الإصلاحية ويفضح المساوئ المجتمعية والحكومية. وهنا أيضا أود التأكيد على أن الشبيبي ما كان منظرا فحسب، بل كان مشتركا فعالا في الحركات والمؤتمرات. وسافر من العراق إلى الحجاز وإلى الشام، وكانت رسالته واضحة في مجال الإصلاح و النهضة. ولو نقرأ نماذج من شعر الشبيبي لرأينا أن ما عاناه العراق في السابق ينطبق اليوم على الحاضر فها هو الشبيبي يقول سابقا كأنما يناغي الحاضر اليوم:

تعسف قوم بالعراق وسارعوا --- على وطن- ما سيم - يوماً بأثمان

هم احتقبوا الأوزار يقترفونها --- وقالوا : جنى عمدا وما هو بالجاني

هم استعجلوا اللذات ينتهبونها --- وهم بدلوا بالجوهر

فرأي الشاعر الشبيبي واضح من حيث إن الشاعر يكون مصدرا لمعالجة هموم الأمة ومتطلباتها، والشعر يجب أن يكون نابعاً في نظر الشبيبي من نفس قائله، لا أن يقال تلبية لرغبة الآخرين أو لغرض التكسب أو ما شابه.

والشبيبي رجل يمتلك من الموسوعية الشيء الكثير فهو ليس شاعرا فقط بل كان مؤرخاً وكانت لديه نظرات سياسية. وللشبيبي لم ينشر)) بعنوان كتاب النجف، قسمه إلى ستة محاور، هي:

المحور الأول: عمارة مشهد الإمام علي (ع) وتخطيطه. وفي هذا المحور يعرج على تاريخ اكتشاف قبر الأمام علي (ع)، ويذكر نص الروايات في هذا المجال.

المحور الثاني: آثار آل بويه في النجف، وفيه يتكلم عن دولة آل بويه وما تكون في عهدهم داخل النجف.

المحور الثالث: آثار الايلخانيين، حيث يتكلم الشبيبي عن تاريخ إنشاء هذه الدولة وذلك سنة ٦٥٦ هـ، وهي سنة دخول بغداد على يد أيل خان (الذي سمي هولاكو خان) ونهاية الدولة العباسية وتأثيرات الايلخانيين على النجف.

المحور الرابع : آثار الصفويين في النجف، حيث يتكلم عن آثار ما فعلته هذه الدولة داخل العراق والنجف بشكل خاص.

المحور الخامس : آثار نادر شاه، الذي دخل العراق صلحا سنة ١١٤٥ وورد كربلاء والنجف.

المحور السادس: حيث يتكلم فيه الشبيبي عن آثار القاجاريين، ويقول في هذا المحور: "انقرضت الدولة الزندية سنة ١٢٠٢ وخلا جو العجم لمحمد شاه أول ملوك القاجاريين. وفي سنة ١٢٠٨ أعترف الفرس بسلطته ولقب (شاه)."

وقد عرف عن هذا العالم الفاضل أن البحث يشغله عن كل شاغل حيث حل وأرتحل، فما أن نزل بالشام في بعض رحلاته حتى توفر على دراسة كتاب (إبن الفوطي البغدادي) مؤرخ الشرق والعراق، وأنقذ تاريخ هذا المؤرخ الكبير من زوايا الترك والإهمال. وقد تمكن ببحثه وتنقحيه من إحياء كثير من المخطوطات كإحصاء العلوم للفارابي وكتاب (الإفادات والإنشادات)، من إملاء أبي إسحاق إبراهيم بن موسى الشاطبي، وتسمية أبطال العرب وقاتليهم في الإسلام عن كتاب مختصر تذكرة الوزير بن حمدون. وأوجب الشبيبي على نفسه نشر آثار اللغة والأدب والتاريخ ، قبل أن يوجب عليه عمله في وزارة المعارف ورئاسة المجمع العلمي في بغداد.

ومما لا ينسى في هذا المقام أن أديبنا الكبير وهو علم من أعلام الوطنية والشعر في العراق قد نشأ منذ شبيبته الأولى عربيا يذكر كل وطن عربي فيما ذكر وطنه ويشغل باله باتجاه مصر والشام كما شغلتهُ أشجان الرافدين.

العلامة محمد رضا الشبيبي وقصيدة

رجال الغد

مازن لطيف

الشيخ محمد رضا الشبيبي أحد ابرز أعلام العراق في تاريخ العراق المعاصر ومن دعاة التجديد والإصلاح الديني والتربوي والسياسي في العراق ، عاش حياته في فترة صباه وشبابه طالباً للعلم والمعرفة .

ولد الشبيبي في مدينة النجف الاشرف عام ١٨٨٩ لأسرة نجفية عريقة عرفت بالأسرة الشبيبية ، ودخل كتاتيبها لتعلم القراءة والكتابة ، حفظ القرآن على يد سيدة فاضلة عرفت بأسم مريم البراقية ، وتتلمذ على يد علماء أفاضل ، تولى وزارة المعارف عدة مرات في العهد الملكي وأصبح رئيساً لمجلس الإعيان ورئيساً لمجلس النواب ، وعضواً في المجمع العلمي في دمشق ومجمع اللغة العربية في القاهرة ، ورئيساً للمجمع العلمي العراقي ، منحته جامعة القاهرة دكتوراه فخرية في اللغة العربية والدراسات الاسلامية عام ١٩٥٠ ، ومن الطرائف التي يَذكُرها الشبيبي في اثناء حضوره مؤتمر اللغة العربية في القاهرة انه التقى الدكتور طه حسين الذي سأل الشبيبي قائلاً له : لماذا كان العراقيون دائماً ثائرين لايستقرون على حال ولايرتضون حاكماً فقد قرأت تاريخ العراق منذ الفتح الاسلامي حتى الآن وقلما وجدت حقبة خالية من الفتن والقلاقل ، فردَ عليه الشبيبي قائلاً: اسمح لي ان أسألك أنا ايضاً ، لماذا كان المصريون دائماً خائفين خاضعين ، لقد قرأت تاريخ مصر منذ الفتح الاسلامي وقبله ايضاً ، فوجدت المصريين دائماً يسترضون حكامهم مهما جاروا وطغوا ويخضعون لكل متحكم فيهم حتى لشجرة الدر ، لكن طه حسين انزعج وانحرج من سؤال الشبيبي .

نشط الشبيبي سياسياً في العهد الملكي حيث كانت له صولات وجولات وحضور من اجل إقامة حياة حزبية علنية لضمان الممارسة الديمقراطية ، وحقق الشبيبي العديد من المنجزات عندما تسلم وزراة المعارف وكان له دور متميز في اقناع المسؤولين لتأسيس مجمع علمي عراقي وتأسس المجمع العلمي العراقي وانتخب الشبيبي رئيساً لأول مجمع علمي عراقي .. اصدر الشبيبي الكثير من المطبوعات منها : ديوان الشبيبي ، فن التربية في الاسلام ، مؤرخ العراق ابن الفوطي ، رحلة في بادية السماوة ، اصول الفاظ اللهجة العراقية ، لهجات الجنوب ، وغيرها وكتب العديد من البحوث والمقالات في الصحف والمجلات العراقية والعربية ، وترك مخطوطات عديدة منها : فلاسفة اليهود في الاسلام ، تاريخ الفلسفة ، المسألة العراقية ، المأنوس في لغة القاموس ، تاريخ النجف .

تعرض بيت الشبيبي عام ١٩٦٣ بعد تسلم عبد السلام عارف السلطة في العراق الى دهم من قبل رجال الامن في منتصف الليل لألقاء القبض على أبنة الشبيبي بتهمة انها شيوعية ، حاول الشبيبي اقناعهم بتأجيل موضوع الاعتقال الى الصباح فلم يتمكن فأضطر الى الاتصال بعبد السلام عارف شخصياً واخبره الامر وشكا له وترحم الشبيبي على العهد الملكي فأمر عبد السلام بترك ابنة الشبيبي وعدم اعتقالها .. توفي الشبيبي في ٢٦ تشرين الثاني عام ١٩٦٥ بعد حياة حافلة بالانجازات والابداع والمواقف الوطنية المشرفة ، ونعت اذاعة بغداد والعديد من الاذاعات العربية خبر وفاة الشبيبي وكتبت الصحف والمجلات العراقية قصائد ومقالات في رثائه ، وقد رثاه الشاعر المصري عزيز اباظة باشا في قصيدة طويلة جاء مطلعها :

قم فأد العزاء للأسلام
في زَعيم وشاعر وإمام
الشبيبي اين ثاني الشبيبي
إذا طمت الخطوب الدوامي ؟

×× ××

أنْتُمُ – مُتّعْتُمُ بالسّؤْدُدِ ياشبابَ اليَوْمِ – أشْياخُ الغَدِ
ياشَباباً دَرَسُوا فاَجْتَهَدوا لِيَنالوا غايَةَ المُجْتَهِدِ
وَعَدَ اللهُ بِكُمْ أوطانَكُمْ ولَقَدْ آنَ نَجازُ المَوْعِدِ
أنتُمُ جِيلٌ جَديدٌ خُلِقُوا لِعُصُورٍ مُقْبِلاتٍ جُدُدِ
كَوّنوا الوَحْدَةَ لا تَفْسَخُها نَزَعاتُ الرّأْيِ والمُعْتَقَدِ
أنا بايَعْتُ عَلى أنْ لاأرَى فُرقَةً،هاكُمْ عَلى هذا يَدِي
عُقَدُ العالَمِ شَتّى فاَحْصُروا هَمّكُمْ في حَلّ تلك اَلعُقَدِ
لِتكُنْ آمالُكُمْ واضِعَةً نُصْبَ عَيْنَيْها حَياةَ الأبَدِ
لِتَعِشْ أفكارُكُمْ مُبْدِعَةً دَأبُها إيجادُ مالَمْ تَجِدِ
لا يَنالُ الضّيْمُ مِنْكُمْ جانِباً غَيْرُ مَيْسورٍ مَنالُ الفَرْقَدِ
أو تَخَلّون – وأنتُمْ سادَةٌ لِأعادِيكُمْ – مَكانَ السّيّدِ
الوفا حِفْظُكُمُ أو رَعْيُكُمْ – بعد عَهْدِ اللهِ – عَهْدَ البَلَدِ
لا تَمُدّوها يداً واهِيَةً لِيَدٍ مُفْرَغَةٍ في الزّرَدِ
تُشْبِهُ الأرْضُ الّتي تَحْمونَها عَبَثَ الأعْداءِ غَابَ الأسَدِ
دبّروا الأرواحَ في أجسادِها فاقَ داءُ الرّوحِ داءَ الجَسَدِ
إنّ عُقْبَى العِلْمِ مِنْ غَيْرِ هُدَى هذه العُقْبى الّتي لَمْ تُحْمَدِ

عراقيون
من زمن التوهج
ملحق أسبوعي يصدر عن مؤسسة المدى للإعلام والثقافة والفنون

رئيس مجلس الإدارة رئيس التحرير
فخري كريم

التحرير : علي حسين التصميم : نصير سليم الاشراف اللغوي : يونس الخطيب